

القول البادي

في نسبة النبي ﷺ

الإيمان والكفر لبعض البلادِ

إعداد

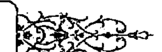
الدكتور/ محمد عبد القوي عطية عبد الله

مدرس الحديث الشريف وعلومه

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين القاهرة

جامعة الأزهر





مقدمة

الحمد لله خالق البلاد والعباد، عالمٍ بما يكون في بعضها من الطاعة والإيمان وما في بعضها من الفتن والكفر والعصيان، فأعلم رسوله ﷺبذلك وأطلعه عليه، فأخبر عليه الصلاة والسلام بما هو كائن في كل بلد من كفر أو إيمان، أو فتن أو عصيان، وقد وقّع ما أخبر به عليه الصلاة والسلام،فكان ذلك من أعلام نبوته، والصلاة والسلام على أفضل الخلق سيدنا محمد ﷺوعلى آله وصحبه وسلّم.

أما بعد

فهذا البحث تحدثت فيه عن البلاد التي نسب إليها رسول الله ﷺالإيمان وهي: المدينة ومكة واليمن، وهذا شرف يُنسب إليها، والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا استحقت هذه البلاد هذه النسبة، وهل هذه النسبة ثابتة في كل زمان أو لا؟.

وتحدثت فيه أيضاً عن البلاد التي نسب إليها رسول الله ﷺالكفر والفتن، وهي البلاد التي تقع في جهة المشرق بالنسبة إلى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا استحقت هذه البلاد هذه النسبة، وهل نسبة الكفر والفتن لهذه البلاد يجعلها محرومة من الخير والفضائل، أو يكون سُبّة وعاراً في جبين من ينتسب لهذه البلاد ويعيش بين جنباتها؟، وما موقفنا من العلماء الذين نبغوا وبرعوا ونشأوا في هذه البلاد كالإمام أحمد والإمام الشافعي وغيرهما؟.

أسباب اختياري للموضوع

هناك أسباب دفعتني إلى اختيار موضوع هذا البحث، وهي:

١- كنت أقرأ في كتاب (طرق الحكم على الحديث بالصحة أو الضعف) للأستاذ الدكتور/ عبد المهدي عبد القادر، فوقفت على حديث: "إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها" [١] فقمت بتخريجه، وقرأت شرحه في كتب الشروح، فرأيت له صلة بحديث "الإيمان يمان" [٢] وحديث: " رأس الكفر قبل المشرق"[٣]، وتذكّرت أنني قرأت هذه الأحاديث منذ بضع سنوات في كتاب (اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان) فاختمرت فكرة هذا الموضوع في ذهني، فرأيت الكتابة فيه؛ لبيان وجه نسبة النبي ﷺ الإيمان إلى اليمن والمدينة (وجوانبها وحواليها فيشمل مكة)، ونسبة الكفر والفتن إلى المشرق.

٢- ما قرأته من موقف المعادين لدعوة الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب، حيث طعنوا في شخصه، وجعلوه قرن الشيطان، ومصدر الفتن اعتماداً على قول النبي ﷺ عن نجد:"هناك الزلازل والفتن، وبها يطلُع قرن الشيطان"وقد فسروا نجداً بأنها نجد اليمامة (المعروفة اليوم بنجد السعودية)، فرأيت خدمة للإسلام بوجه عام وللسنة النبوية بشكل خاص أن أبين القول السديد في التعامل مع هذا الحديث وما في معناه، وذلك من خلال التنبيه على احترام العلماء ومعرفة قدرهم ومنزلتهم سواء

---

(١)سيأتي تخريجه، ص

(٢)سيأتي تخريجه، ص

(٣)سيأتي تخريجه، ص

اتفقنا معهم أو اختلفنا، وإلا لو فتحنا الباب للطعن لما سَلِم أحد كما سيأتي- إن شاء الله تعالى- في ثنايا البحث، ومن المعروف من مذهب أهل السنة: " ليعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه".

خطة البحث:

قسمت البحث إلى: مقدمة، وثلاثة فصول، ونتائج، وفهارس.

أما المقدمة فتحدثت فيها عن فكرةالبحث، وأسباب اختياري له، وخطته.

أما الفصول فهي على النحو الآتي:

الفصل الأول:نسبة النبي ﷺالإيمان إلى المدينة.

الفصل الثاني: نسبة النبي ﷺالإيمان إلى اليمن.

الفصل الثالث: نسبة النبي ﷺالكفر والفتن إلى جهة المشرق..

نتائج البحث.

فهرس بأهم المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات.

هذا والله العلىَّ الكريمَ أسأل أن يتقبل منى عِملى هذا بقبول حسن، وأن ينفعنى به يوم لا ينفع مال ولا بنون، وأن يجعله فى ميزان حسناتى، وأن يجعله عملاً خالصًا متقبلاً، إنه على كل شئ قدير.

وأحمده سبحانه وتعالى حمدًا يوافى نعمه، ويكافئ مزيد سلطانه وآلائه على توفيقه إيَّاى فى اختيار هذا البحث، وعلى تيسيره لى كلّ السُّبل

حتى خرج على هذه الصورة، التي أسأل الله تعالى أن تكون صورة مرضية عنده وعند حبيبنا ومصطفانا سيدنا محمد ﷺ، وعند من يقرؤه.

وبالله حولي واعتصامي وقوتي ∴ وما لي إلا شكره متجللاً

فيا رب أنت اللهُ حسبي وعُدتي ∴ عليك اعتمادي ضارعًا متوكلاً[٤]

وصلّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم.

خادم السنة

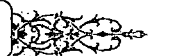
د. محمد عبد القوي عطية عبد الله

مدرس الحديث الشريف وعلومه

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين- القاهرة

---

(٤)حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، للإمام القاسم بن فيرة بن خلف الشاطبي ص ١٠.



الفصل الأول

نسبة النبي ﷺ الإيمان إلى المدينة

لقد نسب النبي ﷺ الإيمان إلى المدينة المنورة، روى البخاري ومسلم بسنديهما عن أبيهُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " إنَّ الإيمَانَ لَيَأرِزُ إلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأرِزُ الْحَيَّةُ إلى جُحْرِهَا " [٥].

وروى مسلم بسنده عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِكَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا» [٦].

الشرح والبيان

ما ضبط كلمة: " يأرز" وكلمة:" جحرها" ومعناهما؟

قوله ﷺ:(إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ) بِالْكَسْرِ(أي كسر الراء) عِنْدَ الْأَكْثَرِ، وَرُوِيَ بِالْفَتْحِ، وَحُكِيَ بِالضَّمِّ. وَمَعْنَاهُ يَأْوِي وَيَنْضَمُّ وَيَجْتَمِعُ وَيَنْقَبِضُ وَيَلْتَجِئُ

---

(٥)متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب فضائل المدينة/ باب الإيمان يأرز إلى المدينة (٤/١١١/فتح) حديث رقم ١٨٧٦، وأخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب الإيمان/ باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، وَأَنَّهُ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ (١/ ١٣٢) حديث رقم (٢٣٣/ ١٤٧).

(٦)أخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب الإيمان/ باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، وَأَنَّهُ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ (١/١٣٢) حديث رقم (٢٣٢/ ١٤٦).

إِلَيْهَا، (تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا) أَيْ: ثُقْبِهَا. مِنْ أَرَزَتِ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا إِذَا رَجَعَتْ إِلَى ذَنَبِهَا الْقَهْقَرَى [٧].

ما المراد بالمدينة الوارد ذكرها في الحديث؟

الظاهر من الحديث أن المراد بالمدينة مدينة رسول الله ﷺ المعروفة بالمدينة المنورة.

وهناك من قال:" الْمُرَادُ بِالْمَدِينَةِ جَمِيعُ الشَّامِ[٨] فَإِنَّهَا مِنَ الشَّامِ، خُصَّتْ بِالذِّكْرِ؛ لِشَرَفِهَا "[٩].

وأنا لا أتفق مع هذا الرأي؛ لأنه بمراجعة الأسباب التي ذكرها شرّاحُ الحديث لانضمام أهل الإيمان إلى المدينة، وزيارتهم لها وارتباطهم بها ولجوئهم إليها عند الفتن، نجد أن هذه الأسباب لا تنطبق إلا على المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، ولا تنطبق على بلاد الشام كسوريا وغيرها.

---

(٧)ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٢/١٥١، ١٥٢) كتاب الإيمان/ باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً....، فتح الباري (٤/ ٩٣)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/٢٤٣).

(٨)(شام) يقال: شام بالتخفيف وشأم بالهمز وشآم بالمد، وله ثلاث اصطلاحات:

١- الشام في عرف العرب كل ماهو في جهة الشمال. ٢- الشام في عرف بعض العامة هو دمشق فحسب، ٣- أما الشام تاريخياً فيشمل: سورية والأردن ولبنان وفلسطين [دائرة المعارف (قاموس عام لكل فن ومطلب) (١٠/ ٣٩٤) ومعجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، للبلادي، ص ١٦٧، وينظر: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، للمقدسي، إقليم الشام/ ص ١٣٣].

(٩) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٢٤٣).

وقال صاحب مرقاة المفاتيح: " وَقِيلَ: الْمُرَادُ الْمَدِينَةُ وَجَوَانِبُهَا وَحَوَالَيْهَا لِيَشْمَلَ مكَّةَ، فَيُوَافِقَ رِوَايَةَ الْحِجَازِ(١٠) " (١١).

أقول: ورواية الحجاز هي التي رواها مسلم بسنده أن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «غِلَظُ الْقُلُوبِ، وَالْجَفَاءُ فِي الْمَشْرِقِ، وَالْإِيمَانُ فِي أَهْلِ الْحِجَازِ» (١٢).

ورواها الترمذي في السنن فقال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي كَثِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مِلْحَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ لَيَأْرِزُ إِلَى الحِجَازِ كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا، وَلَيَعْقِلَنَّ الدِّينُ مِنَ الحِجَازِ مَعْقِلَ الأُرْوِيَّةِ مِنْ رَأْسِ الجَبَلِ، إِنَّ الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا وَيَرْجِعُ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ بَعْدِي مِنْ سُنَّتِي» قال أبو عيسى: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ» (١٣).

---

(١٠) الحجاز: إقليم الحجاز معروف، ومنه: مكة والمدينة وجدة والطائف وتبوك وبلاد عسير وتهامة وبلاد بيشة. [المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، لمحمد بن محمد حسن شُرَّاب (١/ ٩٧)].

(١١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٢٤٣).

(١٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/٧٣) كتاب الإيمان/ باب تَفَاضُلِ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِيهِ وَرُجْحَانِ أَهْلِ الْيَمَنِ فِيهِ/ حديث رقم (٩٢/ ٥٣).

(١٣) أخرجه الترمذي في السنن (٥/ ١٨) كتاب الإيمان/ بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، حديث رقم ٢٦٣٠.

=

دراسة إسناد الحديث

١- عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام السمرقندي أبو محمد الدارمي الحافظ صاحب المسند ثقة فاضل متقن كَانَ على غاية من العقل والديانة من يضرب بِهِ المثل فِي الحلم والدراية، والحفظ والعبادة، والزهادة. أظهر علم الحديث والآثار بسمرقند وذبّ عنها الكذب، وكان مفسراً كاملاً، وفقيهاً عالماً. من الحادية عشرة مات سنة خمس وخمسين ومئتين، وله أربع وسبعون [تهذيب الكمال (١٥/ ٢١٠) ت (٣٣٨٤) تقريب التهذيب، ص ٣١١، ت (٣٤٣٠)]

٢- إسماعيل بن عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك ابن أبي عامر الأصبحي أبو عبد الله ابن أبي أويس المدني، قَال أَبُو حاتم: محله الصدق، وكَانَ مغفلاً. وَقَال النَّسَائي: ضعيف. وَقَال في موضع آخر: ليس بثقة عَن وعن أحمد بْن حنبل ويحي بن معين: لا بأس به [الجرح والتعديل (٢/١٨٠، ١٨١) ت٦١٣، الكامل في ضعفاء الرجال (١/٥٢٥، ٥٢٦) ت ١٥١، تهذيب الكمال (٣/١٢٤، ١٢٧، ١٢٨)]. قال ابن حجر: صدوق أخطأ في أحاديث من حفظه من العاشرة، مات سنة ست وعشرين ومئتين خ م د ت ق [تقريب التهذيب، ص ١٠٨، ت (٤٦٠)]

٣- كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني المدني، قَالَ عَبد الله بن أحمد: ضرب أَبِي عَلَى حديث كثير بن عَبد الله فِي المسند ولم يحدث بها، وسئل أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ عَنْه فقَالَ: منكر الحديث ليس بشَيْءٍ. وعن يَحْيى ابْنَ مَعِين: حديثه ليس بشَيْءٍ، ولاَ يكتب، وقال أيضاً: كثير بن عَبد الله مدني ضعيف. وقال النسائي: متروك الحديث [الكامل في ضعفاء الرجال(٧/١٨٧) ت (١٥٩٩)]. قال عنه الذهبي: واه، قال أبو داود: كذاب د ت ق [الكاشف (٢/ ١٤٥) ت (٤٦٣٧)]. قال عنه ابن حجر: ضعيف أفرط من نسبه إلى الكذب من السابعة ر د ت ق [تقريب التهذيب، ص ٤٦٠، ت (٥٦١٧)].

=

معنى قوله ﷺ في الحديث السابق:" وَلَيَعْقِلَنَّ الدِّينُ مِنَ الحِجَازِ مَعْقِلَ الأُرْوِيَّةِ مِنْ رَأْسِ الجَبَلِ"

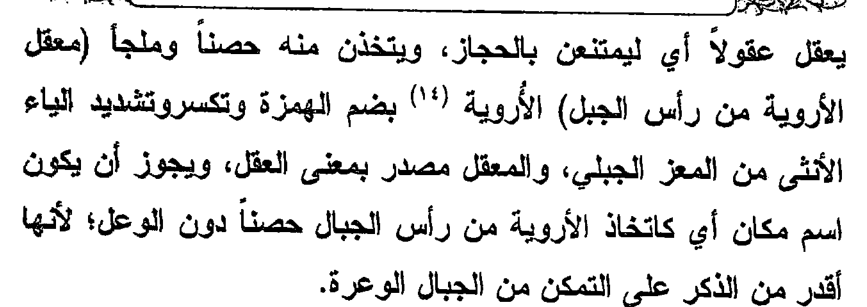
(وليعقلن) جواب قسم محذوف أي: والله ليعتصمن عطف على ليأرز، أو على إن ومعمولها أي: ليتحصن وينضم ويلتجئ (الدين) أبرزه وحقه الإضمار؛ إعلاماً بعظيم شرفه ومزيد فخامته، ومن ثم ضوعفت أدوات التأكيد، وأتى بالقسم المقدر. يقال: عقل الوعل أي امتنع بالجبال العوالي

٤- عبد الله بن عمرو بن عوف بن زيد المزني المدني والد كثير، ذكره ابن حبان في الثقات [الثقات لابن حبان(٥/٤١) ت (٣٧٥١)، تهذيب الكمال (٣٦٧/١٥) ت (٣٤٥٤)]. قال الذهبي: روى عن أبيه وله صحبة وعنه ولده كثير وثق، حب د ت ق [الكاشف (٥٨٠/١) ت (٢٨٨٢)]. قال الحافظ ابن حجر: مقبول من الثالثة ر د ت ق [تقريب التهذيب، ص ٣١٦، ت (٣٥٠٣)].

٥- عمرو بن عوف بن زيد بن مليحة، وقيل: ملحة بكسر أوله ومهملة أبو عبد الله المزني صحابي مات في ولاية معاوية خت د ت ق [أسد الغابة (٧٥٦/٣) ت (٣٩٩٤)، تقريب التهذيب، ص ٤٢٥، ت (٥٠٨٦)].

الحكم على الإسناد: ضعيف؛ لضعف كثير بن عبد الله المزني.

وقد اعتذر المباركفوري عن الترمذي في تحسينه للحديث مع تضعيف العلماء له، فقال: " وأجيب عنه بأن تحسينه توثيق للراوي، وذهاب منه إلى أنه لم يرض الكلام فيه، كيف وهو من علماء هذا الشأن، فيعتمد على تحسينه وتصحيحه، وقد احتج بطريق كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده، ابن خزيمه في صحيحه كما ذكره المنذري في (الترغيب)، وقيل: حسنه الترمذي لشواهده، فإنه قد يحسن الحديث الضعيف ويصححه لشواهده" [مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢٦٨/١) ح ١٧٠].



يعقل عقولاً أي ليمتنعن بالحجاز، ويتخذن منه حصناً وملجأ (معقل الأروية من رأس الجبل) الأُروية [١٤] بضم الهمزة وتكسروتشديد الياء الأنثى من المعز الجبلي، والمعقل مصدر بمعنى العقل، ويجوز أن يكون اسم مكان أي كاتخاذ الأروية من رأس الجبال حصناً دون الوعل؛ لأنها أقدر من الذكر على التمكن من الجبال الوعرة.

والمعنى أن الدين في آخر الزمان عند ظهور الفتن واستيلاء الكفرة والظلمة على بلاد أهل الإسلام، يعود إلى الحجاز كما بدأ منه [١٥].

وقد رجح الملاّ علي القاري أن المدينة الوارد ذكرها في الحديث المراد بها المدينة المنورة وجوانبها ونواحيها،فيشمل المدينة ومكة، فقال بعد أن ذكر هذا الرأي: " وَهَذَا أَظْهَرُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ" [١٦].

أقول: هذا الرأي محتمل بل جائز؛ لأن له ما يؤيده من الروايات وهي رواية بين المسجدين السابقة، وكذلك رواية الحجاز السابقة.

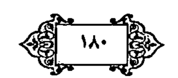
ويؤيده الواقع أيضاً فإذا كانت المدينة بها رسول الله ﷺ فمكة بها بيت الله، وكما أن المؤمنين ترتبط قلوبهم بزيارة رسول الله ﷺ فكذلك ترتبط قلوبهم بزيارة بيت الله، والطواف بالكعبة المشرفة، والسعي بين الصفا والمروة، والشرب من ماء زمزم، وغير ذلك.

---

(١٤)قال ابن الأثير: الْأُرْوِيَّةُ: الشاةُ الواحدةُ مِنْ شِيَاهِ الجَبَل، وجمعُها أَرْوَى. وَقِيلَ هِيَ أُنثى الوُعول وَهِيَ تُيوس الْجَبَلِ [النهاية في غريب الحديث (٢/ ٢٨٠)].

(١٥) تحفة الأحوذي (٧/ ٣١٩، ٣٢٠).

(١٦)مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٢٤٣).



ومما يؤيد ذلك أيضاً أن من زار البيت الحرام- حتى لو كان عجوزاً- تجده يتمنى أن يطيل الله في عمره حتى يعود إليه مرات، وليس أدل على ذلك من تكرار معظم المسلمين للحج والعمرة.

وأقول أيضاً: ارتباط القلوب المؤمنة بالبلدين يرجع إلى:

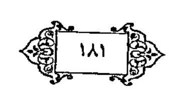
١- المدينة بها رسول الله ﷺولولاه لما كان لها فضل، لمّا سُئل ابن عَقيل الحنبلي عن المفاضلة بين الحجرة والكعبة، قال للسائل: "إن أردت مجرد الحجرة فالكعبة أفضل، وإن أردت وهو ﷺفيها، فلا والله لا العرش وحملته، ولا جنة عدن، ولا الأفلاك الدائرة، فإن بالحجرة جسداً، لو وزن بالكونين لرجح" (١٧).

٢- ومكة بها بيت الله عز وجل، ولولاه لما كان لها فضل، ومن زار البيت الحرام وأدى مناسك الحج -بصدق وإخلاص- من: طواف، وصلاة خلف المقام، وسعي بين الصفا والمروة، ووقوف بعرفات، ومبيت بمزدلفة ومنى، ورمي الجمرات، وحلق أو تقصير لشعر الرأس، وأدرك لذة وحلاوة أداء المناسك والمشاعر وخاصة كلما كانت هناك مشقة في أداء المناسك بسبب الزحام مثلاً، أو المشي دون الركوب لعرفات ومزدلفة ومنى كلما زاد الشعور باللذة والحلاوة.

ومن ينعم بهذه اللذة والحلاوة يعرف أن الإيمان موجود في هذه الأماكن، بل يزداد عندها، ويترك في القلب أثراً لا ينفد، وتعلقاً لا ينقطع، وحنيناً يدوم بدوام الحياة، ومما يؤيد ذلك قوله ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ

---

(١٧)بدائعالفوائد لابن قيم الجوزية (٣/ ٦٥٥) هلحجرةالنبيﷺأفضلأمالكعبة؟.



لَيَأْرِزُ إِلَى الحِجَازِ كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا، وَلَيَعْقِلَنَّ الدِّينُ مِنَ الحِجَازِ مَعْقِلَ الأُرْوِيَّةِ مِنْ رَأْسِ الجَبَلِ...» وقد سبق تخريجه قريباً، وقوله ﷺ: «وهو يأرز بين المسجدين» وقد سبق تخريجه في أول الفصل، وقوله:"بين المسجدين" أي مسجد مكة والمدينة (١٨).

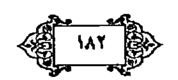
وأداء المناسك السابقة من الطواف بالبيت، والتعلق بأستار الكعبة، وما فيه من معنى التعلق بالله، وما يحركه في القلب من إيمان عميق، وإحساس وشعور بالأمن والطمأنينة؛ لأن المؤمن ببيت الله، فلا يشعر بخوف ولا قلق؛ لأنه بين يدي خالقه، وبين يدي محبوبه.

والسعي بين الصفا والمروة وما فيه من تذكر التوكل على الله وتجديده وإحيائه، يجعلنا نستذكر قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما ترك زوجته هاجر وابنهما إسماعيل في صحراء جرداء لا زرع فيها ولا ماء، ووضع عندهما جراباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء، قالت له: " يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَاراً، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا. فَقَالَتْ: آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: إِذًا لَا يُضَيِّعُنَا" (١٩). وكان بعد ذلك الفرج بسبب التوكل على الله، حيث نبعت عين زمزم التي ما زالت تفيض بالماء الذي لا مثيل له حتى الآن.

---

(١٨)المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٢/ ١٥٢).

(١٩)بعضحديث أخرجه البخاري/ كتاب أحاديث الأنبياء/ بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} [النساء: ١٢٥](٤/١٤٢) حديث رقم ٣٣٦٤.



والصلاة في المسجد الحرام وما فيه من مضاعفة للأجر والثواب الذي لا يوجد مكان آخر يعدل الصلاة فيه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا المَسْجِدَ الحَرَامَ» [٢٠].

كل هذا وأكثر يجعل المؤمنين ترتبط قلوبهم بالبيت الحرام، وتشتاق لزيارته، وتحن للعودة إليه، ويجعل هذه الأماكن والمشاعر المقدسة مراكز إيمانية يقصدها المسلمون في جميع أنحاء العالم.

ومما يؤيد ما ذكرته قول الحافظ ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[سورة الحج، الآية: ٢٧]، حيث قال:"وهذه الآية كقوله تعالى إخباراً عن إبراهيم، حيث قال في دعائه: ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾[إبراهيم: ٣٧] فليس أحد من أهل الإسلام إلا وهو يحن إلى رؤية الكعبة والطواف، فالناس يقصدونها من سائر الجهات والأقطار" [٢١].

---

(٢٠)أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة/ بَابُ فَضْلِ الصَّلاَةِ فِي مَسْجِدِ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ(٢/ ٦٠) حديث رقم ١١٩٠، وأخرجه مسلم في صحيحه/كتاب الحج/ بَابُ فَضْلِ الصَّلَاةِ بِمَسْجِدَيْ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ(٢/ ١٠١٢) حديث رقم (٥٠٥/ ١٣٩٤) واللفظ للبخاري، وقال مسلم: "أفضل" بدل "خير".

(٢١)تفسير ابن كثير(٥/ ٤١٤) سورة الحج، الآية: ٢٧.

التشبيه الذي استخدمه النبي ﷺ في هذا الحديث ووجه الشبه

قبل أن أتحدث عن التشبيه ووجه الشبه سأذكر بعض صفات الحية التي تساعدنا في فهم وجه الشبه، ثم أعقبها بالسر في اختار النبي ﷺ الحية دون غيرها ليشبه فرار أهل الإيمان إلى المدينة بها.

بعض صفات الحية [٢٢]:

إن وجدت حجراً انسابت فيه، وليس شيء في الأرض مثل الحية إلا وجسم الحية أقوى منه، ولذلك إذا أدخلت صدرها في حجر أو صدع لم يستطع أقوى الناس إخراجها منه، وربما تقطعت ولا تخرج، وليس لها قوائم، ولا أظفار تشبث بها وإنما قوي ظهرها، هذه القوة لكثرة أضلاعها، فإن لها ثلاثين ضلعاً، وإذا مشت مشت على بطنها، وفي تدافع أجزائها وتعاونها، وفي حركة الكلّ من ذات نفسها، دليل على إفراط قوّة بدنها. وعند هربها تفوت وتسبق، وتظهر الهرب من الناس.ويزعمون أنّ الحيّة لا تموت حتف أنفها، وإنّما تموت بعرض يعرض لها. ومع ذلك فإنه ليس في الحيوان شيء هو أصبر على جوع من حيّة؛ لأنّها إن كانت شابّة فدخلت في حائط صخر، فتتبّعوا موضع مدخلها بوتد أو بحجر، ثمّ هدموا هذا الحائط، وجدوها هناك منطوية وهي حيّة.

---

(٢٢)ينظر:الحيوان، للجاحظ (٤/ ٣١٧، ٣١٨، ٣٤١، ٣٥٧، ٤٠٥)؛ حياة الحيوان الكبرى، للدميري (١/ ٣٩٠).

ومن الحيوان ما له مسكن ومأوى، كالخلد، والفأر، والنّمل، والنّحل، والضّبّ. ومنه ما لا يتّخذ شيئا يرجع إليه كالحيّات لأنّ ذكورة الحيّات سيّارة، وإناثها إنّما تقيم في المكان إلى تمام خروج الفراخ من البيض، واستغناء الفراخ بأنفسها. ثمّ تصير الأنثى سيّارة، فمتى وجدت جحرا دخلت واثقة بأنّ السّاكن فيه بين أمرين: إمّا أقام فصار طعما لها، وإمّا هرب فصار البيت لها ما أقامت فيه ساعة، كان ذلك من ليل أو نهار.

لماذا اختار النبي ﷺ الحية دون غيرها ليشبه فرار أهل الإيمان إلى المدينة بها؟

والجواب:ان الحية أشد فراراً من غيرها [٢٣].

أقول: فكان التشبيه بها أوقع وأبلغ في بيان المقصود، وقد كان النبي ﷺ يأتي بأمثلة واقعية من البيئة التي يعيش فيها المخاطبون؛ لتكون أقرب في الفهم إلى أذهانهم، وبهذا يرد على من يعترض على هذا التشبيه ويقول: كيف يشبه الإيمان وصورته في العقل جميلة بالحية وصورتها في العقل قبيحة ومخيفة؟

تحدث الطيبي عن التشبيه الذي استخدمه النبي ﷺ في الحديث، فقال:"شبه الإيمان وفرار الناس من آفات المخالفين، والتجائهم إلى المدينة بانضمام الحية وانقباضها في جحرها" [٢٤].

---

(٢٣)مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٢٤٣).

(٢٤) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢٥٦/١) الفصل الثاني.

ثم تحدث عن وجه الشبه فقال: " ولعلّ هذه الدابة أشد فراراً وانضماماً من غيرها، فشبه بها بمجرد هذا المعنى، فإن المماثلة يكفي في اعتبارها بعض الأوصاف " (٢٥).

أقول:أي وقع التشبيه بالحية لمجرد الفرار بغضّ النظر عن الأوصاف الأخرى الموجودة في الحية من اللدغ، والفزع من منظرها عند أكثر الناس، وغير ذلك.

فوجه الشبه هنا شدة الفرار والانضمام في كل، فالمؤمنون يشتد فرارهم من آفات المخالفين، وينضمون إلى المدينة، والحية يشتد فرارها وانضمامها إلى جحرها إذا راعها شيء (٢٦).

وقد ذكر صاحب (فيض الباري) وجه الشبه فقال: " ولم أزل أتفكر ما وجْهُ الشَّبَه بين الدين والحية حتى شُبّه بها، فرأيتأنَّ من خصائص الحيةِ الرجوعَ إلى جُحْرِها، ولو قطعت الصحاري والبراري، وهذا هو حال الدين، يأرز إلى المدينة، مع انتشاره بين خوافق السماء والأرض" (٢٧).

فوجه الشبه هنا الرجوع في كلٍ مهما بعدت المسافات مع عدم إضلال الطريق أو تجاوز المكان. فالحية تعود إلى جحرها مهما ابتعدت عنه، ولا تخطئ في معرفة مكانها.

---

(٢٥)السابق.

(٢٦)ينظر: حياة الحيوان الكبرى، للدميري(١/ ٣٩٩).

(٢٧) فيض الباري على صحيح البخاري،محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي (٣/ ٣١٦).

ومع انتشار المسلمين في الآفاق بعيداً عن المدينة المنورة، فإنهم يحنون إليها، وترتبط قلوبهم بها؛ حباً في ساكنها عليه أفضل الصلاة والسلام، وكل ذلك يؤدي إلى التجاء المؤمنين وفرارهم وانضمامهم إليها عند الفتن كما سبق، وكذلك عند عدم الفتن لزيارة النبي ﷺوالصلاة في مسجده لنيل الثواب المضاعف، والتبرك بمشاهدة آثاره وآثار الصحابة رضي الله عنهم.

وقال المناوي:" شبّه انضمامهم إليها [٢٨] بانضمام الحية إذا رجعت؛ لأن حركتها أشق لمشيها على بطنها، والهجرة إليها كانت مشقة كما يشير إليه لفظ "يأرز" الذي حروفه شديدة دون "تنضم"، وفي التشبيه رمز إلى أنهم ينضمون إليها بلا عوج كدخول الحية جحرها، فإنه بلا عوج" [٢٩].

معنى الحديث

بعد بيان وجه الشبه يتضح معنى الحديث وهو:

أن المؤمنين كلما شعروا بالخوفعلى دينهم، وأحسّوا بالخطر على إسلامهم، لجأوا إلى المدينة وآووا إليها كما تأوي الحية عندما تحس بالخطر إلى جحرها؛ لتأمن فيه على نفسها [٣٠].

وهناك معنى آخر، وهو أن الإيمان انتشر من المدينة، فكل مؤمن له من نفسه سائق إليها؛ لمحبته في ساكنها صلوات الله وسلامه عليه [٣١].

---

(٢٨)أي انضمام المؤمنين إلى المدينة.

(٢٩)فيض القدير (٢/٢٢٤).

(٣٠) منار القاري شرح مختصرصحيح البخاري (٣/ ١٩٣).

فكل مؤمن يجد في نفسه شوقاً إلى المدينة المنورة، ومحبة الذهاب إليها، والصلاة في المسجد النبوي؛ لتحصيل الفضائل ونيل الدرجات(٣٢).

فكأن الإيمان يرجع إلى المدينة كما خرج منها أولاً، ومنها ينتشر كانتشار الحية من جحرها، ثم إذا راعها شيء رجعت إلى جحرها (٣٣).

أقول: والواقع يؤيد الأقوال السابقة، فنجد قلوب المسلمين في جميع أنحاء العالم تتهافت وتشتاق وتحنّ لزيارة المدينة المنورة رغبة في زيارة ساكنها عليه أفضل الصلاة والسلام، وتحصيل الدرجات، وذلك من خلال الصلاة في المسجد النبوي والجلوس في الروضة الشريفة والصلاة فيها والدعاء، ومما جاء في فضل الصلاة في المسجد النبوي، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ» (٣٤).

ومما جاء في فضل الروضة الشريفة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي»(٣٥).

---

(٣١)فتح الباري (١١٢/٤)، إرشاد الساري (٣/ ٣٣٦)، فيض القدير(٢/ ٣٢٤).

(٣٢)فضل المدينة وآداب الزيارة، د. سليمان بن صالح الغصن، ص ١١.

(٣٣)شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٤/ ٥٤٨).

(٣٤)سبق تخريجه، ص ١١.

(٣٥)أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة/ بَابُ فَضْلِ مَا بَيْنَ القَبْرِ وَالمِنْبَرِ(٦١/٢) حديث رقم ١١٩٦، وأخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب الحج/ بَابُ مَا بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمِنْبَرِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ (١٠١١/٢) حديث رقم(١٣٩١/٥٠٢).قوله ﷺ:(ما بين بيتيومنبري روضة من رياض الجنة) ذكروا في =

ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل نجد من يرسل السلام لرسول الله ﷺ فيقول أحدهم لزائر المدينة والمسافر إليها: بلغ رسول الله ﷺ مني السلام(٣٦).

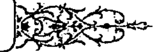
بناءً على معنى الحديث، هل ارتباط قلوب المؤمنين بالمدينة وزيارتهم لها، ولجوئهم وإيوائهم إليها عند اشتداد الفتن حفاظاً على دينهم، شامل لجميع الأزمنة أم لا؟

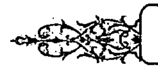
الجواب:بالتأمل في أقوال الأئمة الذين شرحوا الحديث نجد أن منهم من قال: إن ذلك يعم ويشمل كل الأزمنة، ومنهم من قال: إن ذلك يختص

معناه قولين: أحدهما: أن ذلك الموضع بعينه ينقل إلى الجنة. والثاني: أن العبادة فيه تؤدي إلى الجنة. قال الطبري في المراد ببيتي هنا قولان: أحدهما: القبر قاله زيد بن أسلم كما روي مفسراً بين قبري ومنبري. والثاني: المراد بيت سكناه على ظاهره، وروي "ما بين حجرتي ومنبري" قال الطبرى: والقولان متفقان.

وقوله ﷺ: (ومنبري على حوضي) قال القاضي: قال أكثر العلماء: المراد منبره بعينه الذي كان في الدنيا، قال: وهذا هو الأظهر. قال: وأنكر كثير منهم غيره. قال: وقيل: إن له هناك منبراً على حوضه. وقيل معناه: أن قصد منبره والحضورعنده لملازمة الأعمال الصالحة، يورد صاحبه الحوض ويقتضي شربه منه، والله أعلم [المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٩/١٦١، ١٦٢) وينظر: تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة، ص ١٧٨، ط: دار الحديث].

(٣٦)يراجع كتاب خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، للسمهودي(١/٤٠٥، ٤٠٦) حيث خصص الباب الثاني للحديث عن فضل الزيارة والمسجد النبوي ومتعلقاتهما، وذكر – رحمه الله – أن إبلاغ السلام قربة مقصودة، وأن استئجار أحد للسلام على رسول الله ﷺ وللدعاء عنده صحيح.





بحياته إلى انقضاء القرون الثلاثة. ومنهم من قال: إن هذا إخبار عن آخر الزمان حين يقل الإسلام.

- أما من قال: إن ذلك يعم ويشمل كل الأزمنة

فقد ذكر الإمام النووي أن الْقَاضِي عياض قال في شرح قَوْلِهِ ﷺ: "وَهُوَ يَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ": مَعْنَاهُ أَنَّ الْإِيمَانَ أَوَّلًا وَآخِراً بِهَذِهِ الصِّفَةِ؛ لِأَنَّهُ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ كَانَ كُلُّ مَنْ خَلَصَ إِيمَانُهُ وَصَحَّ إِسْلَامُهُ أَتَى الْمَدِينَةَ: إِمَّا مُهَاجِرًا مُسْتَوْطِنًا، وَإِمَّا مُتَشَوِّقًا إِلَى رُؤْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمُتَعَلِّمًا مِنْهُ وَمُتَقَرِّبًا، ثُمَّ بَعْدَهُ هَكَذَا فِي زَمَنِ الْخُلَفَاءِ كَذَلِكَ، وَلِأَخْذِ سِيرَةِ الْعَدْلِ مِنْهُمْ، وَالِاقْتِدَاءِ بِجُمْهُورِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فِيهَا، ثُمَّ مَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ كَانُوا **سُرُجَ الْوَقْتِ، وَأَئِمَّةَ** الْهُدَى لِأَخْذِ السُّنَنِ الْمُنْتَشِرَةِ بِهَا عَنْهُمْ، فَكَانَ كُلُّ ثَابِتِ الْإِيمَانِ مُنْشَرِحِ الصَّدْرِ بِهِ، يَرْحَلُ إِلَيْهَا، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ فِي كُلِّ وَقْتٍ إِلَى زَمَانِنَا؛ لِزِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَالتَّبَرُّكِ بِمَشَاهِدِهِ وَآثَارِهِ(٣٧)، وَآثَارِ أَصْحَابِهِ الْكِرَامِ، فَلَا يَأْتِيهَا إِلَّا مُؤْمِنٌ. هَذَا كَلَامُ الْقَاضِي، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ"(٣٨).

---

(٣٧)أقول: وقد نقل الإمام النووي كلام القاضي عياض دون أدنى اعتراض عليه مما يدل على أن الإمام النووي ممن يرون جواز التبرك بآثار النبي ﷺ. ولا غرابة في التبرك بآثار النبي ﷺ فقد أقره وأذن فيه.

ومن شواهد ذلك: ما جاء في صحيح مسلم أن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت عندها جُبَّة رسول الله وَقَالَتْ: هَذِهِ كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ حَتَّى قُبِضَتْ، فَلَمَّا قُبِضَتْ قَبَضْتُهَا، وكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَلْبَسُهَا، فَنَحْنُ نَغْسِلُهَا لِلْمَرْضَى يُسْتَشْفَى بِهَا" [أخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب اللباس والزينة/ بَابُ تَحْرِيمِ اسْتِعْمَالِ إِنَاءِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ عَلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ...(٣/١٦٤١)حديث رقم (١٠/٢٠٦٩)].

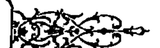
=

ومن شواهده أيضاً: روى مسلم بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ عِنْدَنَا، فَعَرِقَ، وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ، فَجَعَلَتْ تَسْلِتُ الْعَرَقَ فِيهَا، فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟» قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ" وفي رواية أخرى: " فَقَالَ: «مَا تَصْنَعِينَ؟ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا، قَالَ: «أَصَبْتِ» [أخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب الفضائل/ بَابُ طِيبِ عَرَقِ النَّبِيِّ ﷺ وَالتَّبَرُّكِ بِهِ(١٨١٥/٤) حديث رقم (٢٣٣١/٨٣)، (٢٣٣١/٨٤)]. قول أنس – رضي الله عنه-: (فقال عندنا) أي نام القيلولة وقوله:(تسلت العرق) أي تمسحه وتتبعه بالمسح [المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٨٦/١٥)].

ومنها: ماروا‌ه مسلم بسنده عن أنس بن مالك: «أن رسول الله ﷺ أتى منى، فأتى الجمرة فرماها، ثم أتى منزله بمنى ونحر، ثم قال للحلاق: خذ وأشار إلى جانبه الأيمن، ثم الأيسر، ثم جعل يعطيه الناس» [أخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب الحج/ باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم يحلق..(٢ /٩٤٧) حديث رقم (٣٢٣/ ١٣٠٥)] قال الإمام النووي وهو يشرح فوائد هذا الحديث: ومنها التبرك بشعره ﷺ وجواز اقتنائه للتبرك [المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٥٤/٩)].

وللمزيد ينظر: فتاوى شرعية معاصرة، أ.د محمد إبراهيم الحفناوي، ص ٤١- ٤٥، فقد نقل الشواهد والأدلة التي تدل على جواز التبرك بآثار النبي ﷺ ثم قال: " وقد ثبت أن الصحابة-رضي الله عنهم- ومن جاء بعدهم كانوا يتبركون بآثاره ﷺ "، وينظر: فتح الباري (٣٦٥/٧) ٦٤- كتاب المغازي/ ١٢- باب بيان من شهد بدراً، حديث رقم ٣٩٩٨، ومفاهيم يجب أن تصحح، للدكتور/ محمد علوي المالكي، ص ٢٠٧- ٢١٧.

(٣٨) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٥٢/٢، ١٥٣) كتاب الإيمان/ باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً....، وينظر: فتح الباري (١١٢/٤) كتاب فضائل المدينة، والديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، للسيوطي (١٦٦/١)، إرشاد الساري =



- وأما من قال: إن ذلك يختص بحياته ﷺ إلى انقضاء القرون الثلاثة،

فقدقال الداودي: " كان هذا في حياة النبي ﷺ والقرن الذي كان منهم والذين يلونهم خاصة؛ لأنه كان الأمر مستقيماً " (٣٩).

وقد ذكر الملاّ علي القاري أنه قيل: هذا في زمن النبي ﷺ؛ لاجتماع الصحابة في ذلك الزمان فيها (٤٠).

- **وأما من قال: إن هذا إخبار عن آخر الزمان حين يقل الإسلام:**

فقد قال الملا علي القاري – بعد أن ذكر المراد من هذا الحديث أَنَّ أَهْلَ الْإِيمَانِ يَفِرُّونَ بِإِيمَانِهِمْ إِلَى الْمَدِينَةِ وِقَايَةً بِهَا عَلَيْهِ (٤١)، أَوْ لِأَنَّهَا وَطَنُهُ الَّذِي ظَهَرَ وَقَوِيَ بِهَا– : "وَهَذَا إِخْبَارٌ عَنْ آخِرِ الزَّمَانِ حِينَ يَقِلُّ الْإِسْلَامُ"(٤٢).

(٣/٣٣٦) كتاب فضائل المدينة/ باب الإيمان يأرز إلى المدينة، فيض القدير (٢/٣٢٤).

(٣٩)فتح الباري (٤/ ١١٢) كتاب فضائل المدينة / باب الإيمان يأرز إلى المدينة، عمدة القاري (١٠/٢٤٠) كتاب الحج/ أبواب العمرة/ باب الإيمان يأرز إلى المدينة.

(٤٠)مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٢٤٣).

(٤١) أي ينضمون ويلجأون ويتحصنون بالمدينة حفاظاً على إيمانهم، وكأن المدينة تقيهم من البدع والفتن والانحراف عن الدين، وتُبقي على إيمانهم صحيحاً.

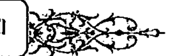
(٤٢)مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/٢٤٣).

أقول: وقد ذكر رأيه بصيغة الجزم، فقال: وهذا إخبار...إلخ، وحين يقل الإسلام في آخر الزمان، ينضم إلى المدينة فيبقى فيها.

أقول: والراجح أن الحديث شامل لجميع الأزمنة كما جاء في القول الأول، والقول الثاني والثالث يمكن إدخالهما في القول الأول، حيث إن القول الثاني نص على أن ذلك خاص بزمن النبي ﷺلاجتماع الصحابة فيه، وهذا ما جاء ضمن القول الأول إضافة إلى الاعتبارات التي ذكرها أصحاب القول الأول والتي منها: زيارة قبره عليه الصلاة والسلام، وهذا شامل لجميع الأزمنة، حيث لم يرد نص أو قول بتخصيص زيارته عليه الصلاة والسلام بزمن دون زمن.

والقول الثالث نص على أن هذا خاص بآخر الزمان، وهذا يمكن رده إلى القول الأول عند من فسر حديث: " بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً.." – وهو القاضي عياض كما سيأتي- بأن المراد عودته إلى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، حيث جاء في القول الأول: أن الإيمان أولاً وآخراً بهذه الصفة أي: يأرز إلى المدينة المنورة.

وعلى ذلك فهذا الحديث شامل لجميع الأزمنة، والله أعلم.





العلاقة بين حديث الباب " إن الإيمان ليأرز إلى المدينة" وحديث : " بدأ الإسلام غريباً..."

روى مسلم بسنده عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا»(٤٣).

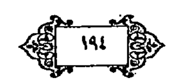
لقد قرن الإمام النووي في ترجمته للباب (٤٤) الذي أخرج الإمام مسلم تحته حديث:" إن الإيمان ليأرز إلى المدينة..." بين غُربة الإسلام في بدايته وعودته كما بدأ، وبين انضمامه ورجوعه إلى المسجدين: أي: المسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ فقال: (باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً وأنه يأرز بين المسجدين) وقد قُرن بينهما في الحديث الذي أخرجه مسلم تحت الباب المذكور كما هو ظاهر الحديث، وقُرن بينهما أيضاً عند الترمذي في حديث واحد كما سبق(٤٥)، مما يدل على أن هناك علاقة وصلة وثيقة بين قوله ﷺ: " بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ " وقوله: " إن الإيمان ليأرز إلى المدينة"

---

(٤٣)أخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب الإيمان/ باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، وَأَنَّهُ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ (١٣٢/١) حديث رقم (٢٣٢/ ١٤٦).

(٤٤)تنبيه:ما تراه من ذكر العناوين للكتب والأبواب في بعض النسخ المطبوعة لصحيح مسلم، فليس من صنيع المؤلف، وإنما هو من صنع من جاء بعده من الشراح. وأحسن من وضع له التراجم، وبوب الأبواب الإمام النووي في شرحه، فكُن على بينة من ذلك"] في رحاب السنة الكتب الصحاح الستة، لأبي شهبة ، ص ١١٥، ١١٦.

(٤٥)ينظر ما سبق، ص



أقول:وهذه العلاقة تشهد لقول من قال: إن انضمام الإيمان إلى المدينة إنما هو إخبار عن آخر الزمان حين يَقِلّ الإسلام، كما هو رأي الملا علي القاري(٤٦).

معنى الحديث

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله: "غريباً" روى ابن أَبِي أُوَيْسٍ عَنْ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ مَعْنَاهُ فِي الْمَدِينَةِ، وَأَنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ بِهَا غَرِيبًا وَسَيَعُودُ إِلَيْهَا(٤٧).

أقول: وهذا القول معناه أن الإسلام سيعود في آخر الزمان غريباً إلى المدينة المنورة، لا إلى غيرها من البلاد.

وقد نقل القاضي عياض تفسير الإمام مالك للحديث وأن المراد به المدينة، ثم اختار أن ظاهر الحديث العموم فيشمل المدينة وغيرها فقال: " وَظَاهِرُ الْحَدِيثِ الْعُمُومُ، وَأَنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ فِي آحَادٍ مِنَ النَّاسِ وَقِلَّةٍ، ثُمَّ انْتَشَرَ وَظَهَرَ، ثُمَّ سَيَلْحَقُهُ النَّقْصُ وَالْإِخْلَالُ حَتَّى لَا يَبْقَى إِلَّا فِي آحَادٍ وَقِلَّةٍ أَيْضًا كَمَا بَدَأَ" (٤٨).

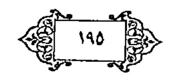
أقول: وهذا القول معناه أن الإسلام سيعود في آخر الزمان غريباً في جميع البلدان ومنها المدينة المنورة. وهذا القول مع سابقه جعل غربة الإسلام في بدايته وعودته خاصاً بالأماكن والبلدان.

---

(٤٦)ينظر ما سبق، ص

(٤٧)إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض (١/٤٥٦).

(٤٨)السابق.



وقَالَ التُّورِبِشْتِيُّ)(٤٩)(:" يُرِيدُ أَنَّ الْإِسْلَامَ لَمَّا بَدَأَ فِي أَوَّلَ وَهْلَةٍ نَهَضَ بِإِقَامَتِهِ وَالذَّبِّ عَنْهُ أُنَاسٌ قَلِيلُونَ مِنَ أشياع الرسول ﷺ .....، فَشَرَّدُوهُمْ عَنِ الْبِلَادِ، ونفوهم من عُقر الديار، يصبح أحدهم معتزلاً مهجوراً، ويبيت منتبذاً وحداناً، ينكره الأهلون، ويباعده الأقربون، فهو بين الناس كالغريب، .... لا يخالطه أحد، ولا يستأنس هو بأحد، فأخبر ﷺ أن أمر الإسلام في الآخر يعود إلى ما كان عليه في الأول، لَا يَكَادُ يُوجَدُ مِنَ الْقَائِمِينَ لَهُ إِلَّا الْأَفْرَادُ الذين يتعيشون بين ذويهم وقراباتهم بعيش الغرباء، لاختلاف ما بين الفئتين من المقاصد، وَيُمكن ان أَنْ تَكُونَ الْمُمَاثَلَةُ بَيْنَ الْحَالَةِ الْأُولَى والحالةالْأَخِيرَةِ، لِقِلَّةٍ بِمَنْ كَانُوا يَتَدَيَّنُونَ بِهِ فِي الْأَوَّلِ وَقِلَّةبِمَنْ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الْآخَرِ قال: (فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ): فأثنى على أولئك النفر بقوله هذا، وطوبى فعلى من الطيب"(٥٠).

أقول: وهذا القول جعل غربة الإسلام في بدايته وعودته في الأشخاص المتمسكين به العاملين بمقتضاه.

---

(٤٩)هو: فضل الله التوربشتي، الحنفي (شهاب الدين، أبو عبد الله) محدث، فقيه، من أهل شيراز، توفي في حدود سنة ٦٠٠ هـ، من آثاره: شرح مصابيح السنة، للبغوي، وسماه الميسر، المعتمد في المعتقد، مطلب الناسك في علم المناسك. وتوربشت بِضَم التَّاء الْمُثَنَّاة من فَوق، بعْدهَا وَاو سَاكِنة، ثمَّ رَاء مَكْسُورَة، ثمَّ بَاء مُوَحدَة مَكْسُورَة، ثمَّ شين مُعْجمَة سَاكِنة، ثمَّ تَاء مثناة من فَوق، وهي ناحية من شيراز ببلاد فارس [ينظر: طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة (٢/٣٤)، طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي(٨/٣٤٩)، معجم المؤلفين(٨/ ٧٣)].

(٥٠)كتاب الميسر في شرح مصابيح السنة، تأليف: الإمام أبي عبد الله التوربشتي (ت ٦٦١هـ) (١/٨٥، ٨٦).

وقال الطيبي: إمَّا أَنْ يُستَعَارَ الْإِسْلَامُ لِلْمُسْلِمِينَ، وَالْغُرْبَةُ هِيَ الْقَرِينَةُ فَيَرْجِعُ مَعْنَى الْوَحْدَةِ وَالْوَحْشَةِ إِلَى نَفْسِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِمَّا أَنْ يَجْرِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى الْحَقِيقَةِ فَالْكَلَامُ عَلَى التَّشْبِيهِ وَالْوَحْشَةِ بِاعْتِبَارِ ضَعْفِ الْإِسْلَامِ وَقِلَّتِهِ، فَعَلَى هَذَا: غَرِيبًا إِمَّا حَالٌ أَيْ بَدَأَ الْإِسْلَامُ مُشَابِهًا لِلْغَرِيبِ، أَوْ مَفْعُولًا مُطْلَقًا أَيْ ظُهُورَ الْغُرَبَاءِ فَرِيدًا وَحِيدًا لَا مَأْوَى لَهُ حَتَّى تَبَوَّأَ دَارَ الْإِيمَانِ. أَعْنِي: طِيبَةَ فَطُوبَى لَهُ وَطَابَ عَيْشًا، ثُمَّ أَتَمَّ اللَّهُ نُورَهُ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، فَيَعُودُ آخِرَ الْأَمْرِ وَحِيدًا شَرِيدًا إِلَى طِيبَةَ كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لَهُ ..(٥١).

وقد استدل الطيبي على ما قاله من عودة الإيمان في آخر الأمر وحيداً إلى المدينة بحديث النبي ﷺ: " إن الإيمان ليأرز إلى المدينة" فقال في تذييل كلامه السابق: "كما ورد: الإيمان ليأرز"(٥٢).

أقول: وهذا القول جعل غربة الإسلام في بدايته وعودته راجعة إما إلى المسلمين وإما إلى الإسلام.

<u>وللجمع بين الأقوال السابقة</u> أقول: إن غربة أي واحد منهما(أي الإسلام أو المسلمين) يؤدي إلى غربة الآخر، والله أعلم.

<u>من فوائد حديث: " إن الإيمان ليأرز إلى المدينة...":</u>

١- قال المهلب: " فيه إن المدينة لا يأتيها إلا مؤمن، وإنما يسوقه إليها إيمانه، ومحبته في النبي ﷺ " (٥٣).

---

(٥١)مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/٢٤٣).

(٥٢)مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/٢٤٣).

(٥٣)شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٤/ ٥٤٨)، عمدة القاري (١٠/ ٢٤٠).

٢- وقال القرطبيرَحِمَهُ ٱللَّهُ: " وفيه تنبيه على صحة مذهبهم، وسلامتهم من البدع، وأن عملهم حجة كما رواه مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ" [٥٤].

وقد علق ابن حجر على ما قاله القرطبي من صحة مذهب أهل المدينة، وسلامتهم من البدع، وحجة عملهم بأن هذا مقيد بزمن النبي ﷺوالخلفاء الراشدين؛ لأن الأحوال قد تغيرت بعد ذلك، فقال: " وهذا إن سُلم اختص بعصر النبي ﷺوالخلفاء الراشدين، وأما بعد ظهور الفتن وانتشار الصحابة في البلاد، ولا سيما في أواخر المائة الثانية وهلمّ جرّاً، فهو بالمشاهدة بخلاف ذلك " [٥٥].

وللإمام المُناوي رأي يتفق مع ما قاله الحافظ ابن حجر، حيث قال: " وفيه صحة مذهب أهلها، وسلامتهم من البدع إلى آخر زمن الخلفاء الراشدين" [٥٦].

أقول: وكلام الأئمة السابق فيما يستفاد من الحديث يدور حول صحة مذهب أهل المدينة وسلامتهم من البدع، وأنه مقيد بزمن النبي ﷺوالخلفاء الراشدين.

أما تهافت قلوب المسلمين في جميع أنحاء العالم، واشتياقها وحنينها لزيارة المدينة المنورة؛ رغبة في زيارة ساكنها عليه أفضل الصلاة والسلام، وتحصيل الدرجات، وذلك من خلال الصلاة في المسجد النبوي،

---

(٥٤)فتح الباري(١١٢/٤) كتاب فضائل المدينة باب الإيمان يأرز إلى المدينة، عمدة القاري (٢٤٠/١٠) كتاب الحج/ أبواب العمرة/ باب الإيمان يأرز إلى المدينة.

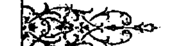
(٥٥)فتح الباري (١١٢/٤)، وينظر: عمدة القاري (١٠/ ٢٤٠).

(٥٦)فيض القدير(٣٢٤/٢).

والجلوس في الروضة الشريفة والصلاة فيها والدعاء، فذلك ثابت إلى قيام الساعة، ولا يخالف في ذلك عالم من العلماء المعتدّ بهم سلفاً وخلفاً، والله أعلم.

❁❁❁





الفصل الثاني

نسبة النبي ﷺ الإيمان إلى اليمن

لقد وردت أحاديث كثيرة نسَب النبي ﷺ فيها الإيمان والحكمة والفقه إلى اليمن، وبين فيها أسباب نسبة هذه الأمور لها، وهذه الأحاديث هي:

روى البخاري بسنده عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا، الإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ، وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ فِي أَصْحَابِ الإِبِلِ، وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ»(٥٧).

وروى البخاري بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالفِتْنَةُ هَا هُنَا، هَا هُنَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ» (٥٨).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما بسنديهما عن أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ نَحْوَ الْيَمَنِ، فَقَالَ: «أَلَا إِنَّ الْإِيمَانَ هَهُنَا، وَإِنَّ الْقَسْوَةَ وَغِلَظَ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ، عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الْإِبِلِ، حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ فِي رَبِيعَةَ، وَمُضَرَ»(٥٩).

---

(٥٧)أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب المغازي/ باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن (٧/٧٠١/ فتح) حديث رقم ٤٣٨٨.

(٥٨)أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب المغازي/ باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن (٧/٧٠١/ فتح) حديث رقم ٤٣٨٩.

(٥٩)أخرجه البخاري في صحيحه/كتاب المغازي/ باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن (٧/٧٠١/ فتح) حديث رقم ٧٤٣٨، وأخرجه مسلم في صحيحه(١/٧١) كتاب =



وروى مسلم بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً، الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْفِقْهُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ(٦٠)»(٦١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما بسنديهما عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ أَضْعَفُ قُلُوبًا وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً، الْفِقْهُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ»(٦٢).

وروى مسلم بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «رَأْسُ الْكُفْرِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ، وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ فِي أَهْلِ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ»(٦٣).

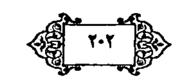
الإيمان/ باب تَفَاضُلِ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِيهِ وَرُجْحَانِ أَهْلِ الْيَمَنِ فِيهِ، حديث رقم (٨١/ ٥١) واللفظ لمسلم.

(٦٠)أصلَ "يَمَانٍ" يَمَنِيٌّ، فَحُذِفَتْ يَاءُ النَّسَبِ وَعُوِّضَ بِالْأَلِفِ بَدَلَهَا، فصار يمان وهي اللغة الفصحى، وَحَكَى الْجَوْهَرِيُّ وَغَيْرُهُ أَيْضًا عَنْ سِيبَوَيْهِ أنه حكى عن بعض العرب جَوَازَ التَّشْدِيدِ فِي يَمَانِيٍّ. وَقَوْلُهُ: "يَمَانِيَة" هُوَ بِالتَّخْفِيفِ، وَحكى ابن السِّيِّدِ فِي (الِاقْتِضَابِ) أَنَّ التَّشْدِيدَ لُغَةٌ [ينظر: فتح الباري (٦/ ٦١٥) كتاب المناقب، عمدة القاري (١٦/ ٧١، ٧٢)، إرشاد الساري (٦/٥)، تحفة الأحوذي (٣٠١/١٠) أبواب المناقب/ باب في فضل اليمن.

(٦١)أخرجه مسلم في صحيحه (٧١/١) كتاب الإيمان/ باب تَفَاضُلِ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِيهِ وَرُجْحَانِ أَهْلِ الْيَمَنِ فِيهِ، حديث رقم (٨٢/ ٥٢).

(٦٢)أخرجه البخاري في صحيحه/كتاب المغازي/ باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن (٧٠١/٧/ فتح) حديث رقم ٤٣٩٠. وأخرجه مسلم في صحيحه (٧٢/١) كتاب الإيمان/ باب تَفَاضُلِ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِيهِ وَرُجْحَانِ أَهْلِ الْيَمَنِ فِيهِ، حديث رقم (٨٤/ ٥٢) واللفظ للبخاري.

(٦٣)أخرجه مسلم في صحيحه (٧٢/١) كتاب الإيمان/ باب تَفَاضُلِ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِيهِ وَرُجْحَانِ أَهْلِ الْيَمَنِ فِيهِ، حديث رقم (٥٢/٨٥).



وروى مسلم بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْكُفْرُ قِبَلَ الْمَشْرِقِ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ، وَالْفَخْرُ وَالرِّيَاءُ فِي الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْخَيْلِ وَالْوَبَرِ» (٦٤).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما بسنديهما أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ فِي الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ، الْإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ» (٦٥).

وروى مسلم بسنده أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً، وَأَضْعَفُ قُلُوبًا، الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ، السَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ، وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ فِي الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ، قِبَلَ مَطْلِعِ الشَّمْسِ» (٦٦).

---

(٦٤)أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٧٢) كتاب الإيمان/ باب تَفَاضُلِ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِيهِ وَرُجْحَانِ أَهْلِ الْيَمَنِ فِيهِ، حديث رقم (٨٦/ ٥٢).

(٦٥)أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب المناقب/ بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] وَقَوْلِهِ ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١] وَمَا يُنْهَى عَنْ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ، الشُّعُوبُ: النَّسَبُ البَعِيدُ، وَالقَبَائِلُ: دُونَ ذَلِكَ (٦/ ٦٠٨/ فتح) حديث رقم ٣٤٩٩، وأخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٧٢، ٧٣) كتاب الإيمان/ باب تَفَاضُلِ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِيهِ وَرُجْحَانِ أَهْلِ الْيَمَنِ فِيهِ/ حديث رقم (٨٧/ ٥٢) وحديث رقم (٨٨/ ٥٢).

(٦٦)أخرجه مسلم في صحيحه (٧٣/١) كتاب الإيمان/ باب تَفَاضُلِ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِيهِ وَرُجْحَانِ أَهْلِ الْيَمَنِ فِيهِ/ حديث رقم (٨٩/ ٥٢).

وروى مسلم بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَلْيَنُ قُلُوبًا وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً، الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ، رَأْسُ الْكُفْرِ قِبَلَ الْمَشْرِقِ» (٦٧)

شرح الأحاديث السابقة

قبل أن أبدأ في شرح الأحاديث السابقة أودّ أن أشير إلى أن ما جاء فيها من أن رأس الكفر نحو المشرق، وخروج الفتن من هذه الجهة، والصفات التي اتصف بها أهل المشرق وكانت سبباً في ظهور الكفر والفتن منها، سيأتي الحديث عنه مستقلاً – إن شاء الله– في الفصل الثالث (نسبة النبي ﷺ الكفر والفتن إلى جهة المشرق).

أمّا ما جاء فيها من نسبة الإيمان إلى اليمن، فسأبدأشرحه بالسؤال الآتي:

س ما المؤهلات التي جعلت أهل اليمن يستحقون نسبة النبي ﷺ الإيمان إليهم؟

الجواب: هناك مؤهلات جعلت النبي ﷺ ينسب الإيمان لأهل اليمن من خلال التأمل في الأحاديث السابقة،وهي:

١– رقة أفئدتهم.

٢– لين قلوبهم.

---

(٦٧)أخرجه مسلم في صحيحه (١/٧٣) كتاب الإيمان/ باب تَفَاضُلِ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِيهِ وَرُجْحَانِ أَهْلِ الْيَمَنِ فِيهِ/ حديث رقم (٩٠/ ٥٢).

٣- اتصافهم بالسكينة والتواضع والرقة،لأنهم أهل غنم.

وسأتحدث عن الصفات السابقة بالتفصيل.

أولاً: الصفتان: الأولى والثانية، وهما رقة الفؤاد ولين القلب.

١- ما المراد بالقلب والفؤاد؟

الجواب:ذكر النَّوَوِيُّ أن الشيخ ابن الصلاح قال)[٦٨](: " الْمَشْهُورُ أَنَّ الْفُؤَادَ هُوَ الْقَلْبُ، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ كَرَّرَ لَفْظَ الْقَلْبِ بِلَفْظَيْنِ، وَهُوَ أَوْلَى مِنْ تَكْرِيرِهِ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ" [٦٩].

وقال القسطلاني: "يمكن أن يراد بالفؤاد والقلب ما عليه أهل اللغة من كونهما مترادفين"[٧٠].

٢- وإذا كان القلب والفؤاد مترادفين فلماذا كررهما؟

الجواب: كرّر ليناط به معنى غير المعنى السابق، فإن الرقة مقابلة للغلظ، واللين مقابل للشدة والقسوة، فوصف أوّلاً بالرقة؛ ليشير إلى التخلق مع الناس، وحسن العشرة مع الأهل والإخوان، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [سورة آل عمران، الآية:

---

(٦٨)بعض من نقل هذا الكلام الذي نقله النووي عن ابن الصلاح وهَم، فنسبه إلى الإمام النووي كالمباركفوري في تحفة الأحوذي (١٠/ ٣٠١).

(٦٩)المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٢/ ٢٨) كتاب الإيمان/ باب تفاضل أهلِ الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه، وينظر: عمدة القاري (٣٢/١٨) كتاب المغازي/ باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن.

(٧٠) إرشاد الساري (٦/ ٤٤٠) كتاب المغازي/ باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن.

١٥٩] وثانيًا باللين؛ ليؤذن بأن الآيات النازلة، والدلائل المنصوبة ناجعة فيها، وصاحبها مقيم على التعظيم لأمر الله [٧١].

٣- لماذا وصف النبي ﷺ الأفئدة بالرقة، والقلوب باللين، فقال: (أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبًا)؟

قال الخطابي:" وصف الأفئدة بالرقة، والقلوب باللين؛ لأن الفؤاد غشاء القلب، فإذا رقّ نفذ القول منه وخلص إلى ما وراءه، وإذا غلظ بَعُد وصوله إلى داخل، فإذا صادف القلب لينًا علق به وتجمع فيه" [٧٢].

وقال القاضي البيضاوي: " الرقة ضدّ الغلظ، والصفاقة واللين مقابل القسوة، فاستعيرت في أحوال القلب، فإذا نبا عن الحق، وأعرض عن قبوله، ولم يتأثر بالآيات والنذر، يوصف بالغلظ، فكأن شغافه صفيق لا ينفذ فيه الحق، وجرمه صلب لا يؤثر فيه الوعظ، وإذا كان بعكس ذلك

---

(٧١)إرشاد الساري (٦/ ٤٤٠) كتاب المغازي/ باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن.

(٧٢)أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، للخطابي (٣/ ١٥٢١) باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال. هذا وقد بحثت عن هذا الكلام بلفظه للخطابي فلم أجده بلفظه، ويبدو أن من جاء بعده من الأئمة، ونقل كلامه نقله بالمعنى كما ذكرت، ينظر: إرشاد الساري (٦/٤٤٠)، عمدة القاري(٣٢/١٨).أما نص الخطابي الذي في كتابه (أعلام الحديث) فهو كالآتي: " يريد والله أعلم بلين القلب سرعة خلوص الإيمان إلى قلوبهم، وحسن قبولهم له، ويقال: الفؤاد غشاء القلب، والقلب حبته وسويداؤه، وإذا رق الغشاء أسرع نفوذ الشيء إلى ما وراءه".

يوصف بالرقة واللين، فكأن حجابه رقيق لا يأبى نفوذ الحق، وجوهره لين يتأثر بالنصح "[٧٣].

وقال البغوي: " والمراد بلين القلوب سرعة خلوص الإيمان إلى قلوبهم، ويقال: إن الفؤاد غشاء القلب، والقلب حبته وسويداؤه، فإذا رقّ الغشاء، أسرع نفوذ الشيء إلى ما وراءه" [٧٤].

وقد ذكر الكلاباذي[٧٥] عدة إشارات لوصف القلب باللين، فقال: " فوصف القلب باللين، والشيء اللين ينثني وينعطف، وهو التقلب، وسمي القلب قلبا؛ لأنه متقلب ... والمتقلب يتقلب إلى كذا، فكأنه وصف أهل اليمن بأن قلوبهم ألين وأكثر تقلباً وتثنياً، وأن تثنيها وانقلابها إلى الإيمان والحكمة أكثر منهما إلى غيرهما.

ويجوز أن يكون أشار بلين القلبإلى خفض الجناح ولين الجانب، والانقياد والاحتمال وترك العلو والترفع؛ لأن هذه الأفعال إنما تظهر ممن لان قلبه، وهي أوصاف الظاهر.

---

(٧٣)إرشاد الساري (٦/ ٤٤٠) كتاب المغازي/ باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن.

(٧٤)شرح السنة، للبغوي (١٤/ ٢٠١، ٢٠٢). أقول: يبدو- والله أعلم - أن البغوي قد نقل كلام الخطابي؛ لأن كلامه هذا موجود عند الخطابي في اعلام الحديث (١٥٢١/٣) كما سبق.

(٧٥)محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي، أبو بكر (ت ٣٨٠هـ - ٩٩٠م): من حفاظ الحديثمن أهل بخارى.له: "الأربعون في الحديث، و بحر الفوائد - خ " ويعرف بمعاني الأخبار، جمع فيه ٥٩٢ حديثاً " و " التعرف لمذهب أهل التصوف - ط " [الفوائد البهية في تراجم الحنفية، لأبي الحسنات اللكنوي الهندي، ص ١٦١، وينظر: معجم المؤلفين (٢٢٢/٨)، الأعلام(٢٩٥/٥)].

وأشار برقة أفئدتهم إلى شفقتهم على الخلق، والرحمة لهم، والرأفة بهم، والتعطفعليهم، والنصح لهم، وأن يحبوا لهم ما يحبون لأنفسهم، وهذه أوصاف الباطن، فكأنه أشار إلى أنهم أحسن أخلاقاً ظاهراً وباطناً، وقد قال النبي ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»(٧٦)، فقوله: «الإيمان يمان» أي: أهل اليمن أكمل الناس إيماناً، وتكون الحكمة من أوصاف من كمل إيمانه ويقينه .

ويجوز أن يكون وصفه لهم بلين القلوب إشارة إلى قبول الحق؛ لأن أهل اليمن أجابوا إلى الإسلام بالدعوة دون المحاربة والقتال، فقبلوا الحق للين قلوبهم؛ لأن من قسا قلبه لا يقبل الحق وإن كثرت دلائله، وقامت حججه، قال الله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ،ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[سورة البقرة، الآية: ٧٣، ٧٤] أخبر أن من قسا قلبه لا يرجع إلى الحق، وإن ظهرت أعلامه، والآيات إنما يعقلها من كانت صفته ضد صفة القاسية قلوبهم، ولذلك نسب الإيمان إليهم؛ لأنهم قبلوه من غير عنف، ونسبهم إلى الحكمة؛ لأن الحكمة هي الإصابة للحق ، فأصابوا الحق" (٧٧).

---

(٧٦)بعض حديث أخرجه الترمذي في السنن/ أبواب الرضاع/ بَابُ مَا جَاءَ فِي حَقِّ المَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا(٣/ ٤٥٨) ح ١١٦٢، قال أبو عيسى: «حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

(٧٧)بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار، للكلاباذي، ص ٧٣.

وقال النووي: " وَأَمَّا وَصفُهَا بِاللِّينِ وَالرِّقَّةِ وَالضَّعْفِ، فَمَعْنَاهُ: أَنَّهَا ذَاتُ خَشْيَةٍ وَاسْتِكَانَةٍ، سَرِيعَةِ الِاسْتِجَابَةِ وَالتَّأَثُّرِ بِقَوَارِعِ التَّذْكِيرِ، سَالِمَةٍ مِنَ الْغِلَظِ وَالشِّدَّةِ وَالْقَسْوَةِ الَّتِي وَصَفَ بِهَا قُلُوبَ الْآخَرِينَ" (٧٨).

أقول: والأوصاف السابقة من رقة الفؤاد ولين القلب،تجعل الإيمان ينفذ إلى القلب، ويعلق به، ويجتمع فيه، ولذلك بعد سرد النبي ﷺ لأوصاف أهل اليمن نسب الإيمان إليهم، فقال: (الإيمان يمان).

قال القسطلاني: "ولما وصفهم بذلك أتبعه بما هو كالنتيجة والغاية، فقال عليه الصلاة والسلام: (الإيمان يمان) ...لأن صفاء القلب، ورقته، ولين جوهره، يؤدّي به إلى عرفان الحق والتصديق به، وهو الإيمان والانقياد" (٧٩).

أقول: ونحن في أمسّ الحاجة لأن نتصف بهذه الصفات التي أهّلت أهل اليمن لنسبةالإيمان إليهم، وهي رقة الفؤاد ولين القلب والسكينة والوقار والخضوع والطمأنينة، وتتحقق هذه الصفات من خلال امتثال المأمورات واجتناب المنهيات، والالتزام بالأذكار والأوراد وحسن الأخلاق، وتدريب النفس على العفو والصفح، وقيام الليل، وقراءة القرآن، والمحافظة على الصلاة في جماعة وغير ذلك من أبواب الطاعات.

---

(٧٨)المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج/ كتاب الإيمان/ باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه (٢/ ٢٨)،وينظر: تحفة الأحوذي (١٠/ ٣٠١، ٣٠٢) باب في فضل اليمن.

(٧٩)إرشاد الساري (٦/ ٤٤٠) كتاب المغازي/ باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن.

وينبغي أن يتصف من يدعي الإيمان بهذه الصفات وإلا كان قولهم ادعاء، وما أكثر الأدعياء!

ثانياً: الصفة الثالثة: اتصافهم بالسكينة والتواضعوالرقة؛ لأنهم أهل غنم، وقد قال النبي ﷺ: " والسكينة في أهل الغنم".

فما المراد بالسكينة؟

(السكينة) هي السكون والطمأنينة والوقار والتواضع والهدوء، وقيل: السكينة الرحمة (٨٠).

ولماذا خص النبي ﷺ أهل الغنم بالسكينة؟

خصّ النبي ﷺأهل الغنم بالسكينة؛ لأنهم غالبًا دون أهل الإبل في التوسع والكثرة، وهما من سبب الفخر والخيلاء، وقد قال عليه الصلاة والسلام لأم هانئ "اتخذي الغنم فإن فيها بركة" رواه ابن ماجه(٨١). (٨٢).

---

(٨٠)ينظر: غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام (٣/٣٨٤)، تفسير غريب ما في الصحيحين(١/ ١٢٩، ٢٨٩، ٣١٨)، الفائق في غريب الحديث، للزمخشري(١/٥٦)، مشارق الأنوار، للقاضي عياض (٢،٢٩٣).

(٨١)أخرجه ابن ماجه في السنن/ كتاب التجارات/ باب اتخاذ الماشية (٢/ ٧٧٣) حديث رقم ٢٣٠٤. ولفظه: «اتَّخِذِي غَنَمًا فَإِنَّ فِيهَا بَرَكَةً».ولفظه: قال ابن ماجه: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أُمِّ هَانِئٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لَهَا: «اتَّخِذِي غَنَمًا فَإِنَّ فِيهَا بَرَكَةً»

=

دراسة الإسناد:

١- أبو بكر ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ العَبْسِيُّ * (خ، م، د، س، ق)ابْنِ القَاضِي أَبِي شَيْبَةَ إِبْرَاهِيْمَ بنِ عُثْمَانَ، الإِمَامُ، العَلَمُ، سَيِّدُ الحُفَّاظِ، وَصَاحِبُ الكُتُبِ الكِبَارِ: (المُسْنَدِ)، وَ (المُصَنَّفِ)، وَ (التَّفْسِيْرِ)، أَبُو بَكْرٍ العَبْسِيُّ مَوْلاَهُمْ، الكُوْفِيُّ.وكَانَ بَحْراً مِنْ بُحُوْرِ العِلْمِ، وَبِهِ يُضْرَبُ المَثَلُ فِي قُوَّةِ الحِفْظِ. وَقَالَ العِجْلِيُّ: كَانَ أَبُو بَكْرٍ ثِقَةً، حَافِظاً لِلْحَدِيْثِ. قال أبو زُرْعَةَ: مَا رَأَيْتُ أَحفَظَ مِنْ أَبِي بَكْرِ بنِ أَبِي شَيْبَةَ [سير أعلام النبلاء (١١/١٢٢) ت (٤٤) الطبقة الثانية عشرة].

٢- وكيع: هو وكيع بن الجراح بن مليح أبو سفيان الكوفي، الحافظ، الرُّؤاسي بضم الراء وهمزة ثم مهملة ، فهو منسوب إلى بني رواس، وهو الحارث بن كلاب بن ربيعة، روى عن: أبيه، وحماد بن سلمة، وسفيان الثوري، وهشام بن عروة، وخلق كثير. وروى عنه: أحمد بن حنبل، وأبو بكر بن أبي شيبة، ويحيى بن معين، وآخرون. وثقه: أحمد، وابن معين، والعجلي، وابن حبان، وقال الحافظ ابن حجر: ثقة حافظ عابد، من كبار التاسعة، مات في آخر سنة ست وأول سنة سبع وتسعين، وله سبعون سنة [الجرح والتعديل (٩/ ٣٧)، الثقات لابن حبان (٧/٥٦٢)، الأنساب للسمعاني (٦/ ١٧٤)، تهذيب الكمال (٣٠/ ٤٦٢)، تهذيب التهذيب (٦/ ٨١، ٨٢) ت(٨٥٧٧)، تقريب التهذيب/ ص ٥٨١/ ت (٧٤١٤)].

٣- هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، ثقة فقيه ربما دلس، من الخامسة مات سنة خمس أو ست وأربعين، وله سبع وثمانون سنة ع [تقريب التهذيب، ص ٥٧٣، ت(٧٢٩٧)].

<u>أقول: إن هشاماً وإن كان موصوفاً بالتدليس فهو من أصحاب الطبقة الأولى التي ذكر الحافظ ابن حجر –رحمه الله– بأن تدليس أصحابها مقبول، لندرته، ولا يحتاج أن يصرح صاحبها بالسماع أو التحديث [ينظر: طبقات المدلسين، للحافظ ابن حجر، ص ٢٦].</u>

=

قال البيضاوي: " في تخصيص الخيلاء بأصحاب الإبل، والوقار بأهل الغنم ما يدل على أن مخالطة الحيوان ربما تؤثر في النفس، وتعدي إليها هيئات وأخلاقًا، تناسب طباعها، وتلائم أحوالها" (٨٣).

أقول: **وهذا صحيح** فمخالطة من يملكون الغنم لها تكسبهم السكينة والرقة والوقار، ومخالطة من يملكون الإبل والخيل لهما تكسبهم الفخر والخيلاء، وهذا في الواقع شبيه بمن يمتلك سيارة فاخرة (أحدث موديل)

٤- عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي أبو عبد الله المدني، أحد فقهاء المدينة السبعة، ثقة فقيه مشهور من الثالثة مات [قبل المائة] سنة أربع وتسعين على الصحيح ومولده في أوائل خلافة عثمان ع [تهذيب الكمال (٢٠/١١، ١٥، ١٨)، تقريب التهذيب، ص ٣٨٩، ت(٤٥٥٢)].

٥- أم هانئ بنت أبي طالب القرشية الهاشمية، أخت علي بن أبي طالب، اسمها: فاختة، وقيل: هند، لها صحبة وأحاديث ماتت في خلافة معاوية، روت عن: النبي ﷺ ع، روى عنها: ابن ابنها جعدة المخزومي (ت س) ، وعامر الشعبي (ت)، وعبد الله بن عباس (دس)وعبد الرحمن ابن أبي ليلى (خ م د ت س) ، وعروة بن الزبير (ق) [أسد الغابة(٦/٤-٤) ت(٧٦١٢)، تهذيب الكمال (٣٨٩/٣٥) ت (٨٠١٧)، تقريب التهذيب، ص ٧٥٩، ت (٨٧٧٨)].

الحكم على الإسناد: صحيح.

قال البوصيري: "هَذَا إِسْنَاد صَحِيح رِجَاله ثِقَات رَوَاهُ الإِمَام أَحْمد فِي مُسْنده من حَدِيث أم هَانِيء أَيْضاً، وَرَوَاهُ أَبُو بكر بن أبي شيبَة فِي مُسْنده هَكَذَا.." [مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (٣/ ٤٠) باب اتخاذ الماشية، حديث رقم ٤١٨].

(٨٢)إرشاد الساري (٥/٦) كتاب المناقب، تحفة الأحوذي (٦/ ٤٢٤) باب ما جاء في الدجال لا يدخل المدينة.

(٨٣)إرشاد الساري (٦/ ٤٤٠) كتاب المغازي.

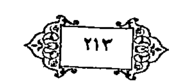
تجده في الغالب يشعر بالفخر والعظمة والكبر، وأنه أفضل ممن يركب سيارة قديمة، فإذا سار صاحب السيارة القديمة أمامه أو بجواره، فتكون عنده رغبة جامحة في تخطيه وتجاوزه، وكأنه يقول بلسان الحال: مَن هذا؟ حتى يسير أمامي أو بجواري؟!.

وأهل الغنم أقل حالاً من أهل الإبل، ولذلك لما عدّدت زوج أبي زرع مآثره بعد أن طلقها كان مما قالت: " وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشِقٍّ، فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ " [٨٤].

أما قولها:"في غنيمة" فبضم الغين تصغير الغنم، أرادت أن أهلها كانوا أصحاب غنم لا أصحاب خيل وإبل؛ لأن الصهيل أصوات الخيل، والأطيط أصوات الإبل وحنينها، والعرب لا تعتد بأصحاب الغنم وإنما يعتدون بأهل الخيل والإبل. وأما قولها:" بشق" فهو بكسر الشين وفتحها، والمعروف في روايات الحديث والمشهور لأهل الحديث كسرها، والمعروف عند أهل اللغة فتحها. قال أبو عبيد: هو بالفتح، قال: والمحدثون يكسرونه. قال: وهو موضع. وقال الهروي: الصواب الفتح.قالابن الأنباري: هو بالكسر والفتح، وهو موضع[٨٥]. وقال ابن أبي أُوَيس وابن حبيب: يعني بشق جبل لقلتهم وقلة غنمهم، وشق الجبل ناحيته. وقال غيرهم: بشق بالكسر

(٨٤)جزء حديث، أخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم / باب ذكر حديث أم زرع(١٨٩٦/٤) حديث رقم (٩٢/ ٢٤٤٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٨٥)أي مكان.





أي بشظف من العيش وجهد. قال القاضي عياض: هذا عندي أرجح، واختاره أيضاً غيره، فحصل فيه ثلاثة أقوال (٨٦).

وقلة حال أهل الغنم تكسبهم السكينة والرقة والتواضع.

أقول:والصفات السابقة جعلت أهل اليمن يُدعنون إلى الإسلام، ويدخلون فيه، ويفدون على رسول الله ﷺ ومنهم من لزمه كأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وبذلك استحق أهل اليمن أن ينسب النبي ﷺ الإيمان والحكمة والفقه إليهم،فقال: " الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْفِقْهُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ".

١- فما المراد بقوله : "الإيمان يمان" ؟

لقد استبعد البعض أن يكون المراد بقول النبيﷺ " الإيمان يمان " **نسبة الإيمان إلى أهل اليمن على الحقيقة، والسبب في ذلك أن مبدأ** الإيمان من مكة؛لأنها مولد النبي ﷺومبعثه، ثم من المدينة،ولذلك صرفوا هذا القول عن ظاهره.

وحكىأبو عبيد (إمام الغريب) ومن بعده في صرف هذا القول عن ظاهره أقوالاً (٨٧):

---

(٨٦)المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج(١٥/ ٢١٧).

(٨٧)غريب الحديث، لأبي عبيد (٢/ ١٦١- ١٦٤)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج / كتاب الإيمان/ باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه(٢/ ٢٦، ٢٧)، فتح الباري، لابن حجر (٦/ ٦١٥) كتاب المناقب/ باب قول الله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣]وقوله: ﴿ واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحامَ إن الله كان عليكم رقيباً﴾[النساء:١] وما ينهى عن دعوى الجاهلية، =

الأول: أنه أراد بذلك مكة، فإنه يقال: إن مكة من تهامة [٨٨] وتهامة من أرض اليمن. وقد وضّح الإمام البغوي ذلك فقال:" قوله: " الإيمان يمان " أراد به أنه مكي؛ لأنه بدأ من مكة، وأضافه إلى اليمن؛ لأن مكة من أرض تهامة، وتهامة من أرض اليمن، فتكون مكة على هذا يمانية.

أقول: وهذا القول مبني على أن منشأ الإيمان ومبدأه من مكة المكرمة، ومكة يمانية على حسب موقعها الجغرافي بالنسبة إلى المدينة، وهذا الكلام مبني على الحدود الجغرافية القديمة، أما الآن فقد تغيرت وصارت مكة جغرافياً ضمن حدود المملكة العربية السعودية، وليس لها صلة باليمن.

الثاني: المراد مكة والمدينة، فإنه يروى ما في الحديث أنه قال هذا الكلام وهو بتبوك [٨٩] ومكة والمدينة حينئذ بينه وبين اليمن، فأشار إلى

الشعوب: النسب البعيد، والقبائل: دون ذلك، عمدة القاري (١٦/ ٧٢) كتاب المناقب/ باب (١)، (٢٠/ ٢٩٣) ، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٦/٤٢٣) أبواب الفتن/ باب ما جاء في الدجال لا يدخل المدينة، وأبواب المناقب/ باب في فضل اليمن (١٠/ ٣٠١)، شرح السنة، للبغوي (١٤/ ٢٠١، ٢٠٢) باب ذكر أهل اليمن،النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/٩٣٢) باب الياء مع اللام والميم.

(٨٨)أَحْسَنُ تَحْدِيدٍ لِتِهَامَةَ هُوَ: أَنَّهَا تِلْكَ الْأَرْضُ الْمُنْكَفِئَةُ إلَىالْبَحْرِ الْأَحْمَرِ مِنْ الشَّرْقِ، مِنْ الْعَقَبَةِ – فِي الْأُرْدُنِّ – إلَى الْمَخَا فِي الْيَمَنِ، فَفِي الْيَمَنِ تُسَمَّى تِهَامَةَ الْيَمَنِ، وَهِيَ هُنَاكَ وَاسِعَةٌ كَثِيرَةُ الْقُرَى وَالزُّرُوعِ، وَفِي الْحِجَازِ تُسَمَّى تِهَامَةَ الْحِجَازِ، وَهِيَ أَضْيَقُ أَرْضًا وَأَقَلُّ مِيَاهًا، وَمِنْهَا مَكَّةُ الْمُكَرَّمَةُ، وَجَدَّةُ، وَالْعَقَبَةُ [معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ٦٥، ٦٦].

(٨٩) وقد بحثت عن الحديث الذي فيه تصريح بأن النبي ﷺ قال هذا الكلام وهو بتبوك ، فلم أقف على حديث صريح في هذا، ولكني وجدت حديثاً رواه الطبراني =

صرح فيه راويه وهو أبو كبشة الأنماري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأن رسول الله ﷺ قال هذا الحديث في غزوة من مغازيه دون تصريح باسم الغزوة، قال الطبراني: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ خُلَيْدٍ الْحَلَبِيُّ، ثنا أَبُو تَوْبَةَ الرَّبِيعُ بْنُ نَافِعٍ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ مُهَاجِرٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ رُوَيْمٍ، عَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ مِنْ مَغَازِيهِ فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا فَأَتَيْنَاهُ فِيهِ فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «الْإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ هَهُنَا إِلَى لَخْمٍ وَجُذَامَ»[المعجم الكبير(٢٢/ ٣٤٢)ح ٨٥٧]. قال الهيثمي:" رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ عُرْوَةَ بْنِ رُوَيْمٍ، وَهُوَ ثِقَةٌ. [مجمع الزوائد (١٠/ ٥٦) باب ما جاء في أهل اليمن].وبدراسة إسناده تبين أن: شيخ الطبراني " أحمد بن خُلَيد" قال عنه الدار قطني: "ثقة" وقال الذهبي:" ما علمت به باساً [سير أعلام النبلاء(١٣/٤٨٩)ت ٢٣٥، إرشاد القاصي والداني إلى تراجم شيوخ الطبراني، ص١١٢].وأبو توبة الربيع بن نافع: ثقة حجة عابد [تقريب التهذيب، وتهذيب الكمال(٩/١٠٣) ت ١٨٧٢]. ومحمد بن مهاجر هو الشامي الدمشقي: ثقة[تهذيب الكمال(٢٦/٥١٦،٥١٧) ت٥٦٣٦، وميزان الاعتدال(٤/٤٩) ت ٨٢١٧]. وعروة بن رويم: صدوق يرسل كثيراً [التقريب، تهذيب الكمال (٢٠/٨ - ١٠) ت ٣٩٠٤]. وأبو كبشة صحابي.

أقول: وربما يقصد بالغزوة غزوة تبوك؛ لأن هذه هي الرواية الوحيدة التي وقفت عليها والتي قد تشهد لما ذهب إليه أصحاب هذا القول من شراح الحديث. وقد تتابعت أقوال شراح الحديث على الاستدلال بأن النبي ﷺ قال الحديث وهو بتبوك مما يدل على معرفتهم بالرواية التي استدلوا بها.

وقد راجعت كتب السيرة فوجدت ما يدل على أن النبي ﷺ قال الحديث وهو بتبوك، ومن ذلك: ما ذكره صاحب (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد) عند حديثه عن غزوة تبوك (الباب الثلاثون) تحت عنوان (ذكر طوافه ﷺ علي الناس بتبوك) حيث نقل عن شيوخ الواقدي ما حكوه عن رجل من بني عذرة يقال له عدي، وكان مما قاله: " ... فجلس رسول الله ﷺ في موضع مسجده بتبوك فنظر نحو اليمين، ورفع يده =

ناحية اليمن وهو يريد مكة والمدينة، فقال: الإيمان يمان، ونسبهما إلى اليمن؛ لكونهما حينئذ من ناحية اليمن [٩٠] كما قالوا: الركن اليماني وهو بمكة؛ لكونه إلى ناحية اليمن.

وذكر الحافظ ابن حجر أن هذا القول يؤيده ما جاء في حديث جابر عند مسلم "والإيمان في أهل الحجاز" [٩١].

الثالث: ما ذهب إليه كثير من الناس وهو أحسنها[٩٢] أن المراد بذلك الأنصار؛ لأنهم يمانيون في الأصل، فنسب الإيمان إليهم؛ لكونهم

يشير إلى أهل اليمن فقال «الإيمان يمان» ونظر نحو الشرق فأشار بيده إن الجفاء وغلظ القلوب في الفدادين أهل الوبر من نحو المشرق حيث يطلع الشيطان قرنيه" [يراجع المصدر المذكور(٥/٤٥٥)]، وينظر: شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني (٥/١٦٥)، حيث ذكر أن النبي ﷺ قال الحديث وهو بتبوك.

وهناك رواية تصرح بأن النبي ﷺ قال الحديث وهو بالمدينة، وإسنادها ضعيف؛ لضعف الحسين ابن عيسى الحنفي [ينظر: موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان(٧/٢٨٧) ح ٢٢٩٩ / باب فضل أهل اليمن].

وهناك رواية تصرح بأن النبي ﷺ قال الحديث وهو بالحديبية، وإسنادها ضعيف؛ لضعف حُسين ابن عيسى [ينظر: مسند أبي يعلى(٤/٣٨٤)ح ٢٥٠٥].

(٩٠)أي مكة والمدينة يمانيتان بالنسبة للشام.

(٩١)بعض حديث أخرجه مسلم في صحيحه (١/٧٣) كتاب الإيمان/ باب تَفَاضُلِ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِيهِ وَرُجْحَانِ أَهْلِ الْيَمَنِ فِيهِ/ حديث رقم (٩٢/ ٥٣).

(٩٢)أي أحسنها عند أبي عبيد. وقد صرح أبو عبيد بذلك فقال: " وهو أحسن الوجوه عندي" [غريب الحديث (٢/١٦٤)].

أنصاره، حيث إنهم الأصل في نصر النبي ﷺوما جاء به، وقد نصروا الإيمان والمؤمنين وآوَوْهم.

وقد جمع القاضي عياض الأقوال السابقة، ثم نقّحها بعده ابنُ الصلاح مختصرة (٩٣) كما ذكر الإمام النووي(٩٤).

وقد حكى القسطلاني القول الأول والثاني منالأقوال السابقة(٩٥).وحكى الزمخشري القول الثالث (٩٦).

اعتراض ابن الصلاح على الأقوال السابقة

إذا كان بعض الأئمة وفي مقدمتهم أبو عبيدقد صرف قول النبيﷺ: "الإيمان يمان" عن ظاهره كما سبق، فقد أجراه بعضهم على حقيقته، وحمله على اليمن وأهلها على الحقيقة، ومنهم الإمام ابن الصلاح ومن وافقه.

وقد تعقب ابنُ الصلاح أباعُبَيد في الأقوال الثلاثة التي ذكرها في تفسيرقوله ﷺ: "الإيمان يمان" فقال: " لَا مَانِعَ مِنْ إِجْرَاءِ الْكَلَامِ عَلَى ظَاهِرِهِ، وحمل أهل اليمن على حقيقته، وَأَنَّ الْمُرَادَ تَفْضِيلُ أَهْلِ الْيَمَنِ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ.وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ (٩٧) إِذْعَانُهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ

---

(٩٣)**كما سيأتي عند الحديث عن اعتراضه على ما قاله أبو عبيد.**

(٩٤)المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٢/ ٢٦) كتاب الإيمان/ باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه.

(٩٥)إرشاد الساري (٦/ ٥) كتاب المناقب.

(٩٦)الفائق في غريب الحديث، للزمخشري (٤/ ١٢٨).

(٩٧)أي في نسبة الإيمان إليهم وتفضيلهم على أهل المشرق.

مِنْ غَيْرِ كَبِيرِ مَشَقَّةٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِخِلَافِ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَغَيْرِهِمْ، وَمَنِ اتَّصَفَ بِشَيْءٍ وَقَوِيَ قِيَامُهُ بِهِ، نُسِبَ إِلَيْهِ إِشْعَاربتميُّزه به، وكَمَالِ حَالِهِ فِيهِ [٩٨].

وَهَكَذَا كَانَ حَالُ أَهْلِ الْيَمَنِ حِينَئِذٍ فِي الْإِيمَانِ، وَحَالُ الْوَافِدِينَ مِنْهُ فِي حَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِي أَعْقَابِ مَوْتِهِ كَأُوَيْسٍ الْقَرَنِيِّ[٩٩] وَأَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيِّ[١٠٠] وَشِبْهِهِمَا مِمَّنْ سَلِمَ قَلْبُهُ وَقَوِيَ إِيمَانُهُ، فَكَانَتْ نِسْبَةُ

---

(٩٨)فتح الباري (٦/ ٦١٥) كتاب المناقب، عمدة القاري (٧٢/١٦) كتاب المناقب، تحفة الأحوذي (٤٢٣/٦) أبواب الفتن/ باب ما جاء في الدجال لا يدخل المدينة. وأبواب المناقب/ باب في فضل اليمن (٣٠٢/١٠).

(٩٩) أويس بن عامر القَرني الزاهد المشهور، أدرك النَّبيَّ ﷺولم يره، وسكن الكوفة، وهو من كبار تابعيها. وقد أسلم في عهد رسول الله ﷺولكن منعه من القدوم على رسول الله ﷺبرّه بأمه. قال فيه رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: " يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ، فَبَرَأَ مِنْهُ إلا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ..."، وهو خير التابعين، قُتِلَ أُوَيْسٌ الْقَرَنِيُّ يَوْمَ صِفِّينَ مَعَ عَلِيٍّ[أسد الغابة(٣٣١/١)، الإصابة(١/ ٣٦٠)]. والحديث الوارد في الترجمة اخرجه مسلم في صحيحه/ ٤٤ - كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ / بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أُوَيْسٍ الْقَرَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (١٩٦٩/٤) حديث رقم (٢٥٤٢/٢٢٥).

(١٠٠) عَبْد اللَّهِ بْن ثوب، أَبُو مسلم الخولاني، غلبت عليه كنيته، قَالَ شرحبيل بْن مسلم: أتى أَبُو مسلم إِلَى المدينة، وقد قبض النَّبِيّ ﷺواستخلف أَبُو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وكان فاضلًا عابدًا ناسكًا، له فضائل كثيرة، وهو من كبار التابعين، قَالَ أَبُو نعيم: كان مولده يَوْم حنين، قال: وهو الصحيح، وقيل: إنه أسلم في عهد النَّبيّﷺ ولم يره، وهو الصحيح [أسد الغابة(٣/ ١٩٢)].

الْإِيمَانِ إِلَيْهِمْ لِذَلِكَ إِشْعَارًا بِكَمَالِ إِيمَانِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ نَفْيٌ لَهُ عَنْ غَيْرِهِمْ (١٠١).

وقد ذكر القسطلاني أنه قد اختلف في المراد من قول النبي ﷺ:" الإيمان يمان" وذكر ثلاثة أقوال منها: المراد أهل اليمن على الحقيقة (١٠٢). وذكر العيني ثلاثة أقوال لوقوع اليمان خبراً عن الإيمان، منها: أن المراد بذلك وصف أهل اليمن بكمال الإيمان (١٠٣).

يظهر مما سبق أن ابن الصلاح اعترض على ماذكره أبو عبيد، وقال: إن المراد باليمن أهلها على الحقيقة اعتماداً على كمال حال أهل اليمن في الإيمان في زمن النبيﷺوعقب موته، مما جعلهم متميزين به.

وقد جنح ابن الصلاح إلى طريق آخر في الرد على الأقوال الثلاثة التي ذكرها أبو عبيد وهو جمع طرق الحديث بألفاظه والتأمل فيها، وذكر أن أبا عبيد ومن وافقه لو فعلوا ذلك لما تركوا الظاهر من ألفاظ الحديث، وهو أن النبي ﷺيقصد أهل اليمن في الحقيقة ، ولا يقصد بلدة أخرى كمكة أو المدينة أو الأنصار، ولقالوا بغير ما ذهبوا إليه، فقال: " وَلَوْ جَمَعَ أَبُو عُبَيْدٍ وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُ طُرُقَ الْحَدِيثِ بِأَلْفَاظِهِ كَمَا جَمَعَهَا مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ، وَتَأَمَّلُوهَا، لَصَارُوا إِلَى غَيْرِ مَا ذَكَرُوهُ، وَلَمَا تَرَكُوا الظَّاهِرَ،

---

(١٠١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٢/ ٢٧) كتاب الإيمان/ باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن،تحفة الأحوذي (٦/٤٢٣) أبواب الفتن/ باب ما جاء في الدجال لا يدخل المدينة.

(١٠٢)إرشاد الساري (٦/٥) كتاب المناقب.

(١٠٣)عمدة القاري (١٨/ ٣٢) كتاب المغازي.

وَلَفَظُوا بِأَنَّ الْمُرَادَ الْيَمَنُ وَأَهْلُ الْيَمَنِ عَلَى مَا هُوَ الْمَفْهُومُ مِنْ إِطْلَاقِ ذَلِكَ.

إِذْ مِنْ أَلْفَاظِهِ "أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ" وَالْأَنْصَارُ مِنْ جُمْلَةِ الْمُخَاطَبِينَ بِذَلِكَ، فَهُمْ إِذًا غَيْرُهُمْ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ "جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ" وَإِنَّمَا جَاءَ حِينَئِذٍ غَيْرُ الْأَنْصَارِ، ثُمَّ إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَفَهُمْ بِمَا يَقْضِي بِكَمَالِ إِيمَانِهِمْ، وَرَتَّبَ عَلَيْهِ "الْإِيمَانُ يَمَانٍ" وَكَانَ ذَلِكَ إِشَارَةً لِلْإِيمَانِ إِلَى مَنْ أَتَاهُ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، لَا إِلَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ" (١٠٤).

وقد وافق العيني ابنَ الصلاح فيما ذهب إليه من حمل كلام النبي ﷺ على أهل اليمن على الحقيقة، ومما يؤيد ذلك قوله في تفسير قوله ﷺ "أتاكم أهل اليمن": "أتاكم خطاب للصحابة وفيهم الأنصار، فليُرَدّ بهذا قول من يقول: المراد بقوله: " الإيمان يمان" الأنصار؛ لأنهم يمانون في الأصل، فيتعين بما ذكرنا أن الذين أتاهم غيرهم" (١٠٥).

وبالتأمل في طرق الحديث وألفاظها التي ذكرها ابن الصلاح، يظهر من خلال ما ذكره النبي ﷺ من صفات أنه أراد قوماً بأعيانهم، هم أهل اليمن، ولا يعقل أن يقصد النبي ﷺ الأنصار؛ لأنهم من جملة المخاطبين،

---

(١٠٤)المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٢/٢٧) كتاب الإيمان/ باب تفاضل أهل الإيمَان فيه ورجحان أهل اليمن فيه، عمدة القاري(١٦/ ٧٢) كتاب المناقب، وفتح الباري(٦/ ٦١٥) كتاب المناقب، تحفة الأحوذي (٦/٤٢٣) أبواب الفتن/ باب ما جاء في الدجال لا يدخل المدينة.

(١٠٥)عمدة القاري (١٨/ ٣٢) كتاب المغازي/ باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن.

ولم يأتوا أو يقدموا أو يفدوا على رسول اللهﷺ وإنما كانوا مع النبي ﷺفي مجلسه الذي خاطبهم فيه، وإنما الذين قدموا أهل اليمن.

وقد وافق الإمام النووي على كل ما ذكره الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح، ولم يعقب عليه بأدنى تعقيب، بل بعد أن سرد كلامه قال: " هذا آخر ما ذكره الشيخ أبو عمرو –رحمه الله– وفيه كفاية، فلا نطول بزيادة عليه، والله أعلم" (١٠٦).

وسبق أن الإمام النووي ذكر أن القاضي عياض جمع الأقوال المحتملة في تفسير قول النبي ﷺ: " الإيمان يمان" وأن ابن الصلاح نقحها مختصرة بعده، فدل ذلك على موافقة النووي لما قاله ابن الصلاح، والله أعلم.

ظهر مما سبق أن المراد بقول النبي ﷺ: " أتاكم أهل اليمن" أنهم أهل اليمن على الحقيقة، **وقد ذهب إلى ذلك أيضاً الإمام الطحاوي**.

فقد ذكر تحت عنوان: (باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله ﷺمن قوله: " أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوباً وأرق أفئدة الإيمان يمان والحكمة يمانية" ومَن أهل اليمن الذين عناهم بذلك؟) عدة أحاديث تدور كلها حول وصف رسول الله ﷺلأهل اليمن، ثم عقب عليها مصرحاً بأن المراد بالقوم الذين يصفهم رسول الله ﷺ أنهم أهل اليمن، فقال: " ففيما

(١٠٦)المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٢/ ٢٧) كتاب الإيمان/ باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه.

رُوِّينا عن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم– ذكره أهل اليمن بما ذكرهم به في هذا الحديث"[١٠٧].

رأي بعيد في المراد من قول النبي ﷺ: " الإيمان يمان"

هناك رأي بعيد وهو أن المراد بقوله ﷺ: " الإيمان يمان" شخص معين وهو أُوَيْسٌ الْقَرَنِيّ، وقد وصف ابن حجر هذا الرأي بالبعد، فقال: " وَقَدْ أَبْعَدَ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ حَيْثُ زَعَمَ أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ شَخْصٌ خَاصٌّ، وَهُوَ أُوَيْسٌ الْقَرَنِيُّ" [١٠٨].

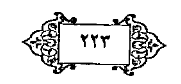
أقول:وهذا الرأي بعيد؛ لأنه كان هناك غير أويس ممن قوي إيمانهم، فلم يكن أويس أولى منهم بالتخصيص، إضافة إلى أن النبي ﷺقال في صدر الحديث:" أتاكم أهل اليمن" والمراد بهم جماعة لا شخص واحد، ولو كان المراد بقوله ﷺ:" أتاكم أهل اليمن" شخصاً واحداً، لما استقام هذا مع اللغة؛ لأن النبي ﷺ عبّر بلفظ الجمع فقال: " أتاكم أهل اليمن" ولو كان المراد شخصاً واحداً لعبر بالإفراد، فيقول مثلاً: جاءكم شخص يمني صفته كذا وكذا.

٢- إذا كان المراد من قول النبيﷺ: "الإيمان يمان" أهل اليمن على الحقيقة، فهل يشمل ذلك الموجود منهم في زمن النبي ﷺخاصة أم أهل اليمن في كل زمان؟

---

(١٠٧)مشكل الآثار، للطحاوي (١/٢٣٧، ٢٣٨).

(١٠٨)فتح الباري (٦/ ٥٣٢) كتاب المناقب.



المراد بأهل اليمن الموجود منهم حينئذ (أي في زمن النبيﷺ) لا كل أهل اليمن في كل زمان، فإن اللفظ لا يقتضيه [١٠٩].

٣- لماذا سميت اليمن بهذا الاسم؟

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (البخاري) سُمِّيَتْ الْيَمَنُ؛ لِأَنَّهَا عَنْ يَمِينِ الْكَعْبَةِ هُوَ قَوْلُ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَهُ فِي تَفْسِيرِ الْوَاقِعَةِ. وَقَالَ الْهَمْدَانِيُّ فِي (الْأَنْسَابِ): لَمَّا ظَعَنَتِ الْعَرَبُ الْعَارِبَةُ، أَقْبَلَ بَنُو قَطَنِ بْنِ عَامِرٍ، فَتَيَامَنُوا، فَقَالَتِ الْعَرَبُ: تَيَامَنَتْ بَنُو قَطَنٍ، فَسُمُّوا الْيَمَنَ، وَتَشَاءَمَ الْآخَرُونَ، فَسُمُّوا شَاماً، وَقِيلَ إِنَّ النَّاسَ لَمَّا تَفَرَّقَتْ أَلْسِنَتُهُمْ ... أَخَذَ بَعْضُهُمْ عَنْ يَمِينِ الْكَعْبَةِ فَسُمُّوا يَمَناً، وَأَخَذَ بَعْضُهُمْ عَنْ شِمَالِهَا فَسُمُّوا شَاماً. وَقِيلَ إِنَّمَا سُمِّيَتْ الْيَمَنُ بِيَمَنِ بْنِ قَحْطَانَ، وَسُمِّيَتِ الشَّامُ بِسَامِ بْنِ نُوحٍ، وَأَصْلُهُ شَامُ بِالْمُعْجَمَةِ، ثُمَّ عُرِّبَ بِالْمُهْمَلَةِ [١١٠].

<u>جاء في (معجم البلدان)</u>: أن اليمن سميت بهذا الاسم؛ لتيامنهم إليها، قال ابن عباس رضي الله عنهما: تفرّقت العرب فمن تيامن منهم سمّيت اليمن، ويقال إن الناس كثروا بمكة فلم تحملهم فالتأمت بنو يمن إلى اليمن وهي أيمن الأرض فسميت بذلك.

---

(١٠٩)المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٢/٢٧) كتاب الإيمان/ باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن، فتح الباري (٦/٦١٥) كتاب المناقب، عمدة القاري (١٦/٧٢)، إرشاد الساري (٦/٥) كتاب المناقب، تحفة الأحوذي (٦/٤٢٣) أبواب الفتن/ باب ما جاء في الدجال لا يدخل المدينة. وأبواب المناقب/ باب في فضل اليمن (١٠/٣٠٢)

(١١٠) فتح الباري (٦/ ٦١٥). وينظر: عمدة القاري (١٦/٧٢)، إرشاد الساري (٦/٥).

قلت(ياقوت الحموي): قولهم تيامن الناس فسمّوا اليمن فيه نظر؛ لأن الكعبة مربعة فلا يمين لها ولا يسار فإذا كانت اليمن عن يمين قوم كانت عن يسار آخرين،وكذلك الجهات الأربع إلا أن يريد بذلك من يستقبل الركن اليماني، فإنه أجلّها فإذا يصحّ، والله أعلم"(١١١).

وأنا أميل إلى ما ذكره ياقوت الحموي، لأن كلامه أظهر.

٤- ما المراد بالحكمة في قوله ﷺ: "والحكمة يمانية"؟

الحكمة هي العلم المشتمل على معرفة الله المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق والعمل به، والصدّ عن اتباع الهوى والباطل. والحكيم من له ذلك. وقال ابن دريد: " كل كلمة وعظتك، أو زجرتك، أو دعتك إلى مكرمة، أو نهتك عن قبيح فهي حكمة" (١١٢).

وقال البغوي عند شرح قوله ﷺ: " الحكمة يمانية" أراد بها الفقه، كقوله سبحانه وتعالى﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[سورة الجمعة:٢]"(١١٣).

وقال الكلاباذي: " الحكمة هي: الإصابة لما يرضى به الله وما يحبه، وترك ما يسخطه ويكرهه، ولا ينال ذلك إلا برقّة القلب وصفائه، فيشهد فيه زواجر الحق؛ لأن زواجر الله في قلب كل مؤمن، فمن كان أصفى

---

(١١١)معجم البلدان، لياقوت الحموي (٥/ ٤٤٧).

(١١٢)المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٢/٢٨) كتاب الإيمان/ باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه، عمدة القاري(١٦/٢٧)، إرشاد الساري (٦/٥)، تحفة الأحوذي (١٠/٣٠٢) أبواب المناقب/ باب في فضل اليمن.

(١١٣)شرح السنة، للبغوي (١٤/ ٢٠١، ٢٠٢) باب ذكر أهل اليمن.

قلباً، فإنه أحسن إدراكاً لذلك الزاجر، وأشد إصابة له، لذلك نسب الحكمة إلى من رقّ قلبه" (١١٤). وهم أهل اليمن.

٥- ما المراد بالفقه في قوله ﷺ: "الفقه يمان" ؟

المراد بالفقه: الفهم في الدين (١١٥).

قال العيني: " المراد بالفقه هنا الفهم في الدين، واصطلح بعد ذلك الفقهاء وأصحاب الأصول على تخصيص الفقه بإدراك الأحكام الشرعية العملية بالاستدلال على أعيانها" (١١٦).

التوفيق بين نسبة النبي ﷺ الإيمان للمدينة وكذلك لليمن

سبق في الفصل الأول من هذا البحث أن النبي ﷺنسب الإيمان إلىالمدينة، وفي هذا الفصل نسب النبي ﷺالإيمان إلىاليمن، فهل يوجد تعارض بين النسبتين؟

والجواب: لا يوجد تعارض بين النسبتين؛ لأن نسبة الإيمان إلى اليمن المراد به أهلها، وهو من باب الإشعار والإعلام بكمال إيمانهم من غير أن يكون فيه نفي له عن غيرهم، ثم المقصود بذلك أهل اليمن الموجودون في ذلك الزمن، وليس أهل اليمن في كل زمان؛ لأن النبي ﷺ -كما ورد في الحديث- حينما نسب الإيمان لأهل اليمن، نسبه إلى من قدموا عليه فقال: " أتاكم أهل اليمن.....". أما نسبة النبي ﷺ الإيمان

---

(١١٤)بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار، للكلاباذي، ص ٧٢.

(١١٥)فتح الباري (٦/٦١٥)، تحفة الأحوذي (١٠/٣٠٢) باب في فضل اليمن.

(١١٦)عمدة القاري (١٨/٣٣) كتاب المغازي/ باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن

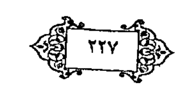
إلى المدينة فجاءت بصيغة المضارع التي تقتضي دوام التجدد والحدوث، فهذه النسبة ثابتة للمدينة إلى أن تقوم الساعة.

قال الإمام النووي في التوفيق بين النسبتين: "من اتصف بشيء، وقوي قيامه به، وتأكد اضطلاعه منه، ينسب ذلك الشيء إليه؛ إشعارًا بتميزه به، وكمال حاله فيه، وهكذا كان حال أهل اليمن حينئذ في الإيمان، وحال الوافدين منه في حياة رسول الله ﷺ وفي أعقاب موته كأويس القرني وأبي مسلم الخولاني رضي الله عنهما وشبههما ممن سلم قلبه وقوى إيمانه، فكانت نسبة الإيمان إليهم لذلك إشعارًا بكمال إيمانهم من غير أن يكون في ذلك نفي له عن غيرهم، فلا منافاة بينه وبين قوله صلى الله عليه وسلم:" **الإيمان في أهل الحجاز**" ثم المراد بذلك الموجودون منهم حينئذ لا كل أهل اليمن في كل زمان، فإن اللفظ لا يقتضيه، هذا هو الحق في ذلك، ونشكر الله تعالى على هدايتنا له، والله أعلم " (١١٧).

❀❀❀

---

(١١٧)المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٢/٢٧) كتاب الإيمان/ باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه، وينظر: عمدة القاري(١٦/ ٧٢) كتاب المناقب، فتح الباري (٦/٦١٥) كتاب المناقب، تحفة الأحوذي (٦/٤٢٣) أبواب الفتن/ باب ما جاء في الدجال لا يدخل المدينة، وأبواب المناقب/ باب في فضل اليمن (١٠/٣٠٢).





الفصل الثالث

نسبة النبي ﷺ الكفر والفتن إلى جهة المشرق

الأحاديث التي ورد فيها نسبة النبي ﷺ الكفر والفتن إلى جهة المشرق- ولم تكن مستقلة بالحديث عن الفتن، بل جاءت مع موضوع آخر وهو نسبة النبي ﷺ الإيمان إلى اليمن- قد سبق تخريجها في أول الفصل الثاني، وألفاظها مختلفة على النحو الآتي: «رَأْسُ الْكُفْرِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ»، « وَالْكُفْرُ قِبَلَ الْمَشْرِقِ»، «رَأْسُ الْكُفْرِ قِبَلَ الْمَشْرِقِ»، «وَالفِتْنَةُ هَا هُنَا، هَا هُنَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ».

ومن الأحاديث التي جاءت في نسبة الكفر والفتن إلى جهة المشرق على جهة الاستقلال ما أخرجه البخاري بسنده عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَامَ إِلَى جَنْبِ المِنْبَرِ فَقَالَ: " الفِتْنَةُ هَاهُنَا الفِتْنَةُ هَاهُنَا، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ، - أَوْ قَالَ: قَرْنُ الشَّمْسِ - " (١١٨).

وأخرج الإمام مَالِكٌ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُشِيرُ إِلَى الْمَشْرِقِ وَيَقُولُ: «هَا، إِنَّ الْفِتْنَةَ هَهُنَا. إِنَّ الْفِتْنَةَ مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ» (١١٩).

---

(١١٨)أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب الفتن/ باب قول النبي ﷺ: «الفتنة من قبل المشرق»(٩/ ٥٣)ح ٧٠٩٢.

(١١٩)الموطأ / كتاب الاستئذان/ باب ما جاء في المشرق (٥/١٤٢٠) ح ٣٥٧٦.

وقبل أن أبدأ في شرح الأحاديث السابقة، سأقوم بعرض خريطة توضح الأماكن التي أشار إليها الرسول ﷺ والتي تقع في جهة المشرق بالنسبة للمدينة المنورة.

دراسة إسناد الحديث:

١- مالك بن أنس (ع)هو شيخ الإسلام، حجة الأمة، إمام دار الهجرة، أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامرالحميري، ثم الأصبحي، المدني، وعن ابن عيينة قال: مالك عالم أهل الحجاز، وهو حجة زمانه. وقال الشافعي - وصدق وبر -: إذا ذكر العلماء فمالك النجم [سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٨ وما بعدها) الطبقة السابعة ١٠ - مالك الإمام].

٢- عبد الله ابن دينار العدوي مولاهم أبو عبد الرحمن المدني مولى ابن عمر ثقة من الرابعة مات سنة سبع وعشرين ع [تقريب التهذيب ، ص ٣٠٢، ت (٣٣٠٠)]

٣- عبد الله ابن عمر ابن الخطاب العدوي أبو عبد الرحمن ولد بعد المبعث بيسير واستصغر يوم أحد وهو ابن أربع عشرة [سنة] وهو أحد المكثرين من الصحابة والعبادلة وكان من أشد الناس اتباعا للأثر مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها أو أول التي تليها ع [أسد الغابة (٣/٣٣٦) ت (٣٠٨٢)، تقريب التهذيب ، ص ٣١٥، ت (٣٤٩٠)].

الحكم على الإسناد: صحيح.



الشرح والبيان

قوله ﷺ: «رَأْسُ الْكُفْرِ قِبَلَ الْمَشْرِقِ»بِكَسْرِ الْقَافِ وَفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ أَيْ مِنْ جِهَتِهِ، وَفِي ذَلِكَإِشَارَةٌ إِلَى شِدَّةِ كُفْرِ الْمَجُوسِ؛ لِأَنَّ مَمْلَكَةَ الْفُرْسِ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ كَانَتْ مِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانُوا فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ وَالتَّجَبُّرِ حَتَّى مَزَّقَ مَلِكُهُمْ(١٢٠) كِتَابَ النَّبِيِّ ﷺ وَاسْتَمَرَّتِ الْفِتَنُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ (١٢١).

قال بدر الدين العيني: " قولهﷺ: "والفتنة ههنا" يعني نحو المشرق، وأشار إليه بقوله:" ههنا يطلع قرن الشيطان" وهو ينتصب في محاذاة المطلع حين تطلع الشمس بين قرنيه. وأمّا كون الفتنة من المشرق؛ فلأن أعظم أسباب الكفر منشؤه هنالك، كخروج الدجال(١٢٢).

---

(١٢٠)وهو كسرى ملك الفرس.

(١٢١)إرشاد الساري(١٠/١٨٨) كتاب الفتن/ باب قول النبي ﷺ الفتنة من قبل المشرق، تحفة الأحوذي(٦/٤٢٣، ٤٢٤) أبواب الفتنة/ باب ما جاء في الدجال لا يدخل المدينة.

(١٢٢)ومما يدل على ذلك ما أخرجه الترمذي، قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ، عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ سُبَيْعٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُقَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" الدَّجَّالُ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا: خُرَاسَانُ، يَتْبَعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ ": وَفِي الْبَابِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَعَائِشَةَ، وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَقَدْ رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَوْذَبٍ، عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ، وَلَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ أَبِي التَّيَّاحِ [السنن للترمذي/ أبواب الفتن/ بَابُ مَا جَاءَ مِنْ أَيْنَ يَخْرُجُ الدَّجَّالُ(٤/٥٠٩) ح ٢٢٣٧].

=

<u>دراسة إسناد الحديث:</u>

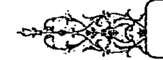
١- محمد بن بشار بن عثمان العبدي البصري أبو بكر بندار، وإنما قيل له: بندار؛ لأنه كان بنداراً في الحديث، والبندار: الحافظ، روى عن روح بن عبادة (خ م ت ق) وغيره [تهذيب الكمال (٥١١/٢٤، ٥١٢) ت (٥٠٨٦)]. قال الحافظ ابن حجر: ثقة من العاشرة مات سنة اثنتين وخمسين وله بضع وثمانون سنة ع [تقريب التهذيب، ص ٤٦٩، ت (٥٧٥٤)].

٢- ع: أحمد بن منيع بن عبد الرحمن البغوي، أبو جعفرالأصم، نزيل بغداد، ابن عم إسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمن البغوي، وجدّ أبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي لأمه. روى عن: روح بن عبادة (ت) وخلق سواه، قال النسائي وصالح بن محمد البغدادي: ثقة [تهذيب الكمال (٤٩٥/١، ٤٩٦) ت(١١٤)].قال الحافظ ابن حجر: ثقة حافظ من العاشرة مات سنة أربع وأربعين وله أربع وثمانون ع [تقريب التهذيب، ص ٨٥، ت(١١٤)].

٣- روح بن عبادة بن العلاء بن حسان القيسي أبو محمد البصري الحافظ،روى عن سعيد بن أبي عروبة. قال الحافظ ابن حجر: ثقة فاضل له تصانيف من التاسعة مات سنة خمس أو سبع ومائتين ع [سير أعلام النبلاء(٩/ ٤٠٢) ت(١٣١)، الكاشف(١/ ٣٩٨) ت(١٥٩٣)، تقريب التهذيب، ص ٢١١، ت(١٩٦٢)].

٤- ع: يزيد بن حميد، أبوالتياح الضبعي، من أنفسهم، البَصْرِيّ. روى عن المغيرة بْن سبيع (ت ق) ، والمغيرة بْن سعد بْن الأخرم وخلق سواهم. قال عَبد اللَّهِ بْن أَحْمَد بْن حنبل، عَن أبيه: ثبت ثقة ثقة. وعن يحي بن معيب وأبي زرعة والنسائي: ثقة [تهذيب الكمال (١٠٩/٣٢) ت (٦٩٧٨)]. وذكره ابن حبان في الثقات (٢٣٤/٥)].

=



ونحوه" (١٢٣).

٥- المغيرة بن سبيع العجلي، روى عن: عبد الله بن بريدة (س)، وعمرو بن حريث (ت ق)، روى عنه: أبوالتياح الضبعي (ت ق) [تهذيب الكمال(٣٦٣/٢٨) ت(٦١٢٧)]. قال الحافظ ابن حجر: المغيرة ابن سبيع بمهملة وموحدة مصغر العجلي ثقة من الخامسة ت س ق [تقريب التهذيب، ص ٥٤٣، ت(٦٨٣٥)].

٦- عَمْرُو بنُ حُرَيْثِ بنِ عَمْرِو بنِ عُثْمَانَ المَخْزُوْمِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(ع)ابْنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُوْمٍ المَخْزُوْمِيُّ، سَعِيْدِ بنِ حُرَيْثٍ.كَانَ عَمْرٌو مِنْ بَقَايَا أَصْحَابِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ الَّذِيْنَ كَانُوا نَزَلُوا الكُوْفَةَ.مَوْلِدُهُ: قُبَيْلَ الهِجْرَةِ.لَهُ: صُحْبَةٌ، وَرِوَايَةٌ.وَرَوَى أَيْضاً عَنْ: أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيْقِ، وَابْنِ مَسْعُوْدٍ، حَدَّثَ عَنْهُ: ابْنُهُ؛ جَعْفَرٌ، وَالحَسَنُ العُرَنِيُّ، وَالمُغِيْرَةُ بنُ سُبَيْعٍ، وَالوَلِيْدُ بنُ سَرِيْعٍ، وَعَبْدُ المَلِكِ بنُ عُمَيْرٍ، وَإِسْمَاعِيْلُ بنُ أَبِي خَالِدٍ، وَآخَرُوْنَ.وَآخِرُ مَنْ رَآهُ رُؤْيَةً: خَلَفُ بنُ خَلِيْفَةَ.تُوُفِّيَ: سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِيْنَ [سير أعلام النبلاء (٤١٧/٣) ت (٧٠)، أسد الغابة (٧١٠/٣) ت (٣٨٩٦)].

٧- أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صحابي مشهور.

الحكم على الإسناد: إسناده صحيح. وقد أخرجه الحاكم في المستدرك/ كتاب الفتن والملاحم (٥٧٣/٤) ح ٨٠٨٦/ وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ " ووافقه الذهبي في التلخيص.

ش قال المباركفوري: " (كأن وجوههم المجان) بفتح الميم وتشديد النون جمع المجن بكسر الميم وهو الترس (المطرقة) بضم الميم وسكون الطاء وقال السيوطي روي بتشديد الراء وتخفيفها، والمعنى أن وجوههم عريضة ووجناتهم مرتفعة كالمجنة، وهذا الوصف إنما يوجد في طائفة الترك والأزبك ما وراء النهر" [تحفة الأحوذي (٤١١/٦)].

(١٢٣)عمدة القاري/ كتاب المغازي/ باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن(٣٣/١٨) بتصرف.

وقد ذكر أبو عمر بن عبد البر أمثلة للفتن التي وقعت في جهة المشرق فقال: "فأخبر صلى الله عليه وسلم عن إقبال الفتن من ناحية المشرق،وكذلكأكثر الفتنمن المشرق انبعثت وبها كانت نحو:الجمل(١٢٤)،

---

(١٢٤) هي: معركة مشهورة دارت رحا الحرب فيها بين علي ﷺومن معه وبين أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير ومن معهم رضي الله عنهم، حيث طالبت عائشة ومن معها علياً ﷺ بدم عثمان ﷺوذلك سنة ست وثلاثين من الهجرة في مكان بين الكوفة والبصرة، وسميت بالجمل نسبة للجمل الذي كانت تركبه أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَافي المعركة [ينظر: البداية والنهاية (٧/ ٢٥٧ وما بعدها) ، عقيدة أهل السنة في الصحابة(٢/٧٠٦) بتصرف، وسطية أهل السنة بين الفرق(١/٤٠٢)].
تنبيه: لم يكن القصد من خروج الصحابة من مكة (عائشه –رضي الله عنها– ومن معها) والمدينة (علي –رضي الله عنه– ومن معه) إلى البصرة من أرض العراق إلا التماس الإصلاح بين المسلمين بأمر يرتضيه طرفا النزاع، ويحسم به الاختلاف، وتجتمع به كلمة المسلمين، ولم يخرجوا مقاتلين، ولا داعين لأحد منهم ليولوه الخلافة، وهذا ما قرره العلماء من أهل السنة. وقد ذكر أبو بكر ابن العربي ثلاثة احتمالات لخروج الصحابة رضي الله عنهم: ١- يحتمل أنهم خرجوا خلعًا لعلي لأمر ظهر لهم، وهو أنهم بايعوا لتسكين الثائرة، وقاموا يطلبون الحق. ٢- ويحتمل أنهم خرجوا ليتمكنوا من قتلة عثمان. ٣- ويمكن أنهم خرجوا [لينظروا] في جمع طوائف المسلمين، وضم [تشردهم] ، وردهم إلى قانون واحد حتى لا يضطربوا فيقتتلوا ، وقد أبطل الاحتمالين الأولين، وصحح الاحتمال الثالث، وبرهن على ذلك [يراجع: العواصم من القواصم ، لأبي بكر بن العربي المالكي، ص ١٥٥/ الباب الثالث: عاصمة: مجيء أصحاب الجمل إلى البصرة لتأليف الكلمة وللتوصل بذلك إلى إقامة الحد على قتلة عثمان، عقيدة أهل السنة في الصحابة(٢/ ٧٠٦) بتصرف، وينظر: فتح الباري(١٣/ ٥٦)].

=

وصفّين[١٢٥]، وقتل الحُسين وغير ذلك مما يطول ذكره مما كان بعد ذلك من الفتن بالعراق وخراسان[١٢٦] إلى اليوم، وقد كانت الفتن في كل ناحية من نواحي الإسلام، ولكنها بالمشرق أكثر أبداً" [١٢٧].

قال ابن حزم: "وأما أهل الجمل فما قصدوا قط قتال عليرضوان الله عليه، ولا قصد علي رضوان الله عليه قتالهم، وإنما اجتمعوا بالبصرة للنظر في قتلة عثمان رضوان الله عليه وإقامة حق الله تعالى فيهم، فتسرع الخائفون على أنفسهم أخذ حدّ الله تعالى منهم، وكانوا أعداداً عظيمة يقربون من الألوف، فأثاروا القتال خفية، حتى اضطر كل واحد من الفريقين إلى الدفاع عن أنفسهم إذ رأوا السيف قد خالطهم"[الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم(٢/٨٥)].

(١٢٥) صفين: معركة جرت بين جيش علي وجيش معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهم- سنة ٣٧ هـ. وصفين: مكان على شاطئ نهر الفرات، وسبب المعركة: أن علياً عندما رجع إلى الكوفة بعد الجمل، شرع في مراسلة معاوية لمبايعته والدخول في طاعته، فأبى معاوية حتى يقتل علي قتلة عثمان أو يسلم القتلة إليه، وإلا لم يبايعه هو وأهل الشام، فلما أخبر علي بذلك خرج هو ومن معه، وخرج معاوية ومن معه حتى التقى الجمعان في صفين، ولما رفعت المصاحف توقفت الحرب، وتم الاتفاق على التحكيم، وهو أن يحكّم كل واحد منها رجلاً من جهته، ثم يتفق الحكمان على ما فيه مصلحة المسلمين...[ينظر: البداية والنهاية (٧/ ٢٨١) وما بعدها، وسطية أهل السنة بين الفرق(١/٤٠٢)، عقيدة أهل السنة في الصحابة(٢/ ٧١٧)وما بعدها، عمدة القاري(١٩/١٨٠)].

تنبيه:إن موقف أهل السنة والجماعة من الحرب التي وقعت بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم هو الإمساك عما شجر بينهم إلا فيما يليق بهم رضي الله عنهم ؛ لما يسببه الخوض في ذلك من توليد العداوة والحقد والبغض لأحد الطرفين، وذلك من أعظم الذنوب وقالوا: إنه يجب على كل مسلم أن يحب الجميع ويترضى عنهم ويترحم عليهم ويحفظ لهم فضائلهم، ويعترف لهم بسوابقهم، وينشر مناقبهم، وأن الذي =

ما المراد بالكفر في قوله ﷺ: «رأس الكفر قِبَل المشرق»؟

قال الكلاباذي[١٢٨]: " قوله ﷺ: « رأس الكفر قِبَل المشرق » **يجوز أن يكون المراد فيه كفر النعمة**، لا كفر الجحود، وذلك أن أكثر الفتن التي كانت في الإسلام ظهرت من قبل المشرق ، وهو العراق وما وراءه، فإن الجمل وهو أعظم الفتن التي كانت في الإسلام بعد قتل عثمان كان بالعراق، وكذلك الصفين والنهروان)[١٢٩](، وقتل الحسين بالعراق، وفيها

حصل بينهم إنما كان عن اجتهاد، والجميع مثابون في حالتي الصواب والخطأ غير أن ثواب المصيب ضِعف ثواب المخطئ في اجتهاده، وأن القاتل والمقتول من الصحابة في الجنة،ولم يجوز أهل السنة والجماعة الخوض فيما شجر بينهم.[عقيدة أهل السنة في الصحابة، ناصر بن علي بن عائض حسن الشيخ (٢/٧٢٧)].

(١٢٦)خراسان: الحالية (الموجودة الآن) تقع شمال شرقي إيران الحالية، ويحدها من الشمال الاتحاد السوفيتى(السابق)، ومن الشرق أفغانستان، ومن الجنوب كرمان وسيستان، ومن الغرب أصفهان وجرجان ومساحتها تقريبًا ٣٢٠ ألف كم٢، وعاصمتها مدينة مشهد، أما خراسان القديمة فكانت تشمل خراسان الحالية والمنطقة الشرقية والشمالية لها حتى ما وراء النهر، وكانت تشتمل على أمهات من البلاد، منها نيسابور، وهراه، ومرو، وقد كان أهلها فرسانًا في العلم [ينظر: معجم البلدان (٤/ ٣٥٣)، وفرهنك فارسي: دكتور محمد معين/ ج ٥. ص ٤٧٦/ ط – ١٢، والمعجم الذهبي/ فارسي/ عربي/ تأليف الدكتور: محمد التونجي، فرهَنك طلائي، ص ٢٣٥].

(١٢٧) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر(١٧/ ١٢).

(١٢٨)سبقت ترجمته، ص

(١٢٩)النّهروانبالعراق معلوم؛ وقال صاحب (أحسن التقاسيم): "وأما بغداد فمن مدنها النّهروان" بفتح أوله وإسكان ثانيه، وفتح الراء المهملة، وبكسرها أيضا: نهروان، وبضمها أيضا: نهروان. ويقال أيضاً بضمّ النونوالراء معا: نهروان، أربع =

كانت فتنة ابن الزبير تسع سنين)[١٣٠](... هذا وغيرها من الفتن والأحداث أكثرها كانت من قبل المشرق، وسبب الفتنة وإراقة دماء المسلمين: كفران نعمة الإسلام.

ويجوز أن يكون المراد فيه الكفر الذي هو ضد الإيمان، ويكون ذلك خروج الدجال" [١٣١].

أقول: ومعنى ذلك أن الكلاباذي فسر الفتنبما وقع،وهي كل الفتن التي ذكرها، وبما لم يقع كخروج الدجال، وصنف الفتن: فجعل فتناً من الكفر الذي هو ضد الإيمان، وفتناً من الكفر الذي هو كفران النعمة.

لغات، والهاء في جميعها ساكنة [معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، للبكري(١٣٣٦/٤)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم(٢٠/١، ١١٤)]. كانت هذه الوقعة لما خرجت الخوارج من أصحاب علي رضي الله عنه عليه ومن كان معه، وقالوا: لا حكم إلا لله، وعسكروا وراء بحر، فبعث إليهم ابن عباس فخاصمهم وحجهم، فرجع منهم قوم كثير، وثبت قوم، وساروا إلى النهروان فسار إليهم علي فقتلهم، وقتل منهم ذي الثدية الذي أخبر به النبي ﷺ وذلك سنة ثمان وثلاثين [الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال، لابن حجر الهيتمي (٣٤٧/١)].

(١٣٠) (فِتْنَة ابْن الزبير) وَهِي محاصرة الْحجَّاج عبدَ الله بن الزبير – رضي الله تعالى عنهما– وكَانَت فِي أَوَاخِر سنة ثَلَاث وَسبعين، واستمرت تسع سنين، وكَانَ الْحجَّاج أرْسلهُ عبد الْملك بن مَرْوَان لقِتَال ابْن الزبير، وَقتلعبد الله بن الزبير فِي آخر تِلْكَ السّنة [ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير(٩/ ٢٩)، البدء والتاريخ، الطاهر المطهر المقدسي (١٧/١)، (٦/ ١٨) ، عمدة القاري(١١٠/١٨)].

(١٣١) بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخيار، للكلاباذي، ص ٧٤، ٧٥، وقد سبق ذكر حديث خروج الدجال.

وقد سرد القسطلاني الفتن التي وقعت بالمشرق مصداقاً لما أخبر به النبي ﷺ فقال: " فأخبر أنّ الفتنة تكون من تلك النّاحية وكذا وقع، فكان وقعة الجمل، ووقعة صفين، ثمّ ظهور الخوارج [١٣٢] في أرض نجد والعراق وما وراءها منالمشرق ، وكان أصل ذلك كلّه وسببه قتل عثمان بن عفّان وهذا علَم من أعلام نبوته ﷺوشرف وكرم" [١٣٣].

والمراد بقول القسطلاني: " وهذا علم من أعلام نبوتهﷺ" أي وقوع الفتن من جهة المشرق من معجزاته ﷺ فقد تحقق ووقع ما أخبر به عليه الصلاة والسلام.

---

(١٣٢)هذه الفرقة في بداية أمرها كانت مشايعة ومتابعة للإمام علي، ثم عندما اشتد القتال بين علي ومعاوية في صفين، ورفع جيش معاوية المصاحف للاحتكام للقرآن، أصرّ علي ﷺعلى القتال، فخرجت عليه خارجة من جيشه تطالبه بقبول التحكيم، فقبله مضطراً، وانتهى التحكيم إلى عزل علي وتثبيت معاوية، ومن الغريب أن الذين أجبروه على قبول التحكيم اعتبروا التحكيم بعد ذلك جريمة كبيرة، وطلبوا منه أن يتوب منه؛ لأنه كفر بالتحكيم كما كفروا هم وتابوا، وصار شعارهم: "لا حكم إلا لله" وأخذوا يقاتلون علياً بعد أن كانوا يجادلونه، وكان منهم من قاطع علياً في خطبته، وأكثرهم من العرب ، ومن أهم مبادئهم: تكفير أهل الذنوب، ولم يفرقوا بين ذنب وذنب، بل اعتبروا الخطأ في الآراء ذنباً إذا أدى إلى مخالفة وجه الصواب في نظرهم، ولذا كفروا علياً، وهذا المبدأ جعلهم يخرجون على جماهير المسلمين ويعتبرون مخالفيهم مشركين، وكانوا يحبون الجدل والمناقشة، وكان التعصب يسود جدلهم، وكانوا يتمسكون بظواهر القرآن، ومن فرقهم: الأزارقة والنجدات والصفرية [تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والاعتقاد، لأبي زهرة، ص ٥٨- ٧٧].

(١٣٣)إرشاد الساري(١٠/ ١٨٨) كتاب الفتن/ باب قول النبي ﷺالفتنة من قبل المشرق.

قال القاضي عياض:" قوله: " رأس الكفر قبل المشرق" كني به عن معظمه، أو إشارة إلى معين مخصوص: إما أن يكون الدجال، أو غيره من رؤساء الضلال، أو يكون إشارة إلى إبليس أن الشمس تطلع بين قرني الشيطان على أحد التأويلات"(١٣٤).

ومعنى: "كنى به عن معظمه" أي أن أعظم أسباب الكفر ومنشأها كان بالمشرق، ويستفاد من ذلك أن الكفر نشأ في جهات أخرى وكذلك الفتن، لكن بالمقارنة بالمشرق فإن الكفر والفتن فيها أقلّ منه، قال ابن عبد البر: "وقد كانت الفتن في كل ناحية من نواحي الإسلام، ولكنها بالمشرق أكثر أبداً"(١٣٥).

والمقصود بقوله: "أو رؤساء الضلال" زعماء الفتن أو زعماء الفرق التي نشأت بالمشرق كالخوارج والقدرية، والمعتزلة.

أقول:والمقصود بقوله: (أو يكون إشارة إلى إبليس أن الشمس تطلع بين قرني الشيطان..)**معنيان:**

١-أن الشمس تجري بين قرني الشيطان حين سجود عبدتها له.

وفي هذا المعنى جاء كلام ابن قتيبة والقسطلاني.

قال ابن قتيبة: " قَوْلُهُ ﷺفِي الْمَشْرِقِ:"من هَهُنَا، يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ". لَا يُرِيدُ بِهِ مَا يَسْبِقُ إِلَى وَهْمِ السَّامِعِ مِنْ قُرُونِ الْبَقَرِ، وَإِنَّمَا يُرِيد "من هَهُنَا يَطْلُعُ رَأْسُ الشَّيْطَانِ".

---

(١٣٤) مشارق الأنوار على صحاح الآثار،للقاضي عياض (١/ ٢٧٦) حرف الراء.

(١٣٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر(١٧/ ١٢).

وكَانَ وَهَبُ بْنُ مُنَبِّهٍ يَقُولُ فِي ذِي الْقَرْنَيْنِ: إِنَّهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، وَاسْمُهُ "الْإِسْكَنْدَرُوسُ" وَأَنَّهُ كَانَ حَلَمَ حُلْمًا، رَأَى فِيهِ أَنَّهُ دَنَا مِنَ الشَّمْسِ، حَتَّى أَخَذَ بِقَرْنَيْهَا فِي شَرْقِهَا وَغَرْبِهَا، فَقَصَّ رُؤْيَاهُ على قومه، فَسَموهُ ذِي الْقَرْنَيْنِ، وَأَرَادَ بِأَخْذِهِ بِقَرْنَيْهَا، أَنَّهُ أَخَذَ بِجَانِبَيْهَا.وَالْقُرُونُ أَيْضًا خُصَلُ الشَّعْرِ، كُلُّ خُصْلَةٍ قَرْنٌ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلرُّومِ: "ذَاتُ الْقُرُونِ". يُرَادُ: أَنَّهُمْ يُطَوِّلُونَ الشُّعُورَ.

فَأَرَادَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُعَلِّمَنَا أَنَّ الشَّيْطَانَ، فِي وَقْتِ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَعِنْدَ سُجُودِ عَبَدَتِهَا لَهَا، مَائِلٌ مَعَ الشَّمْسِ؛ فَالشَّمْسُ تَجْرِي مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَأَمَرَنَا أَنْ لَا نُصَلِّيَ فِي هَذَا الْوَقْتِ الَّذِي يَكْفُرُ فِيهِ هَؤُلَاءِ، وَيُصَلُّونَ لِلشَّمْسِ وَلِلشَّيْطَانِ" (١٣٦).

وقد ذكر القسطلاني نفس المعنى الذي ذكره ابن قتيبة، فقال عند شرح قوله ﷺ: (حيث يطلع قرنا الشيطان): " وهو أن عبدة الشمس يسجدون للشيطان بسجودهم للشمس في ذلك الوقت، وهو وقت طلوع الشمس، حيث قال:" بالتثنية جانبا رأسه؛ لأنه ينتصب في محاذاة مطلع الشمس، حتى إذا طلعت كانت بين قرني رأسه أي جانبيه، فتقع السجدة له حين يسجد عبَدَةُ الشمس" (١٣٧).

---

(١٣٦)تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة، ص ١٩٦.

(١٣٧)إرشاد الساري (٣٠٩/٥) باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شغف الجبال، وينظر: فتح الباري (٤٦/١٣) باب قول النبي ﷺ الفتنة من قبل المشرق أي من جهته.

٢-قوة الشيطان وما يستعين به على الإضلال.

وفي هذا المعنى جاء كلام الداودي، والمباركفوري.

١- **قال الداودي**: " ويحتمل أن يريد بالقرن قوة الشيطان وما يستعين به على الإضلال، وهذا أوجه" (١٣٨).

٢- **وقال المباركفوري**: " ويحتمل أن يراد بالقرن قوة الشيطان وما يستعين به على الإضلال، وكان أهل المشرق يومئذ أهل كفر فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الفتنة تكون من تلك الناحية فكان كما أخبر، وأول الفتن كان من قبل المشرق، فكان ذلك سبباً للفرقة بين المسلمين، وذلك مما يحبه الشيطان ويفرح به، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة(١٣٩).

ومما سبق يتبين أن قول القاضي عياض: " أو يكون إشارة إلى إبليس..." له عدة معان:

١- أن للشيطان قوة يستعين بها على الإضلال.

٢- أن الفتن سبب للفرقة بين المسلمين، وهذا ما يحبه الشيطان ويثيره بين أهلها.

٣- أن السجدة تقع للشيطان في جهة المشرق حين يسجد عبَدة الشمس.

---

(١٣٨)فتح الباري (١٣/٤٦).

(١٣٩)تحفة الأحوذي (١٠/ ٣١٤).

ما المراد بجهة المشرق بالنسبة للمدينة المنورة؟

هناك رواية بأن جهة المشرق المراد بها العراق، ورواية أخرى بأن جهة المشرق المراد بها نجد.

١- الرواية التي حددت جهة المشرق بأنها العراق هي: أخرج الإمام أحمد بسنده عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُشِيرُ بِيَدِهِ يَؤُمُّ الْعِرَاقَ:" هَا، إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا، هَا، إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا، - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ"(١٤٠).

وقد سبق تحديد جهة المشرق بأنها العراق في كلام ابن عبد البر والكلاباذي(١٤١).

وهناك روايات ذكرت بعض الفتن التي بالعراق منها:-

قال الإمام البخاري: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا مَهْدِيٌّ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي يَعْقُوبَ، عَنِ ابْنِ أَبِي نُعْمٍ، قَالَ: كُنْتُ شَاهِدًا لِابْنِ عُمَرَ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ دَمِ البَعُوضِ، فَقَالَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: مِنْ أَهْلِ العِرَاقِ، قَالَ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا، يَسْأَلُنِي عَنْ دَمِ البَعُوضِ، وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ النَّبِيِّ ﷺ،وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا»)(١٤٢).

---

(١٤٠)المسند (١٠/ ٣٩٠) ح ٦٣٠٢/ مسند المكثرين من الصحابة/ مسند عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما- وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

(١٤١)ينظر ما سبق، ص

(١٤٢)صحيح البخاري/ كتاب الأدب/ باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (٨/٧) ح ٥٩٩٤.

=

قال الحافظ ابن حجر: " والذي يظهر أن ابن عمر لم يقصد ذلك الرجل بعينه بل أراد التنبيه على جفاء أهل العراق، وغلبة الجهل عليهم بالنسبة لأهل الحجاز، ولا مانع أن يكون بعد ذلك أفتى السائل عن خصوص ما سأل عنه؛ لأنه لا يحل له كتمان العلم إلا إن حمل على أن السائل كان متعنتاً، ويؤكد ما قلته أنه ليس في القصة ما يدل على أن السائل المذكور كان ممن أعان على قتل الحسين" (١٤٣).

وقال الإمام البخاري: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَاحِدِ، حَدَّثَنَا الشَّيْبَانِيُّ، حَدَّثَنَا يُسَيْرُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: قُلْتُ لِسَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: فِي الخَوَارِجِ شَيْئًا؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ، وَأَهْوَى

قوله: "وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ النَّبِيِّ ﷺ" يَعْنِي: الْحُسَيْن بن عَليّ رَضِي الله عَنْهُمَا. قَوْله: (هما) يَعْنِي: الْحسن وَالْحُسَيْن رَضِي الله عَنْهُمَا. قَوْله: (ريحانتاي) كَذَا فِي رِوَايَة الْأَكْثَرين، وَفِي رِوَايَة أبي ذَر عَن الْمُسْتَمْلِي والحموي: ريحاني، بِكَسْر النُّون وَالتَّخْفِيف على الْإِفْرَاد، وَكَذَا عِنْد النَّسَفِيّ، وَفِي رِوَايَة أبي ذَر عَن الْكشميهني: ريحانتي، بِزِيَادَة التَّاء الَّتِي للتأنيث. وَقَالَ ابْن التِّين: المُرَاد بالريحان هُنَا الرزق، وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيّ فِي: (الْفَائِق): أَي: هما من رزق الله الَّذِي رزقنيه، يُقَال: سُبْحَانَ الله وريحانه، أَي: أسبح الله واسترزقه، وَيجوز أَن يُرَاد بالريحان المشموم، يُقَال: حَبَاني بطاقة ريحَان، وَالْمعْنَى: فَإِنَّهُمَا مِمَّا أكرمني الله وحباني بِهِ، لِأَن الْأَوْلَاد يُشمون ويُقبَّلون، فكأنهم من جملَة الرياحين. قَوْله: (من الدُّنْيَا) أَي: نَصِيبي من الريحان الدنيوي [عمدة القاري (٢٢/٩٨)].

(١٤٣)فتح الباري (١٠/ ٤٢٧).

بِيَدِهِ قِبَلَ العِرَاقِ: «يَخْرُجُ مِنْهُ قَوْمٌ يَقْرَءُونَ القُرْآنَ، لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ[١٤٤]، يَمْرُقُونَ مِنَالإِسْلاَمِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ[١٤٥]»[١٤٦].

٢- الرواية التي حددت جهة المشرق بأنها نجد،وقد صرّح فيها رسول الله ﷺبأن نجداً بها الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان، أخرج البخاري بسنده عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَاقَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفِي نَجْدِنَا؟ فَأَظُنُّهُ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «هُنَاكَ الزَّلاَزِلُ وَالفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ»[١٤٧].

---

(١٤٤) معناه: أن قوماً ليس حظهم من القرآن إلا مروره على اللسان، فلا يجاوز تراقيهم ليصل قلوبهم وليس ذلك هو المطلوب، بل المطلوب تعقله وتدبره بوقوعه في القلب [المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٦/ ١٠٥)باب ترتيل القراءة واجتناب الهذ...].

(١٤٥) شبه مروقهم من الدين بالسهم الذي يصيب الصيد، فيدخل فيه ويخرج منه، ومن شدة سرعة خروجه لقوة الرامي لا يعلق من جسد الصيد بشيء [شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (٢/ ٢٠)].

(١٤٦)صحيح البخاري/ كتاب استتابة المرتدين/ باب من ترك قتال الخوارج للتألف، وأن لا ينفرالناس عنه (٩/ ١٧) ح ٦٩٣٤.

(١٤٧)أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب الفتن/ بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الفِتْنَةُ مِنْ قِبَلِ المَشْرِقِ»(٩/ ٥٤)ح٧٠٩٤، وأخرجه أيضاً في كتاب الاستسقاء/ باب ما قيل في الزلازل والآيات (٢/ ٣٢) ح١٠٣٧.

فما المراد بنجد، هل هي نجد العراق أم نجد اليمامة (المعروفة اليوم بالنجد السعودية)؟

قبل أن أجيب على هذا السؤال، أقول: إن نجود العرب كثيرة، ذكرها صاحب (معجم البلدان)، و(تاج العروس)، منها[148]:

١- نجد البرق باليمامة.

٢- نجد خال.

٣- نجد اجاء.

٤- نجد العُقاب (بدمشق).

٥- نجد الود.

٦- نجد العثري.

٧- نجد عفري.

٨- نجد كبكَب.

٩- نجد مريع.

١٠- نجد اليمن.

١١- نجد الحجاز.

١٢- نجد العراق.

---

(١٤٨)معجم البلدان (٢٦٢/٥، ٢٦٥) باب النون والجيم وما يليهما، وتاج العروس (٢١٠/٩- ٢١٢) فصل النون مع الدال المهملة.

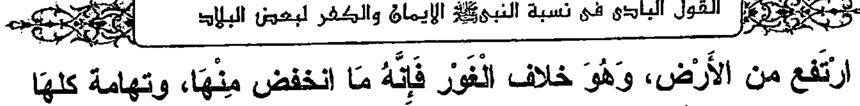
وجاء في (معجم المعالم الجغرافية وغيره) "نَجْدٌ:إقْلِيمٌ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَهُوَ أَوْسَعُهَا وَأَكْثَرُهَا صَحَارَى وَفِجَاجًا وَرِمَالًا، وَالْعَرَبُ تُطْلِقُ اسْمَ نَجْدٍ عَلَى كُلِّ مَا عَلَا مِنَ الْأَرْضِ ، وَكُلُّ مَا ارْتَفَعَ عَنْ تِهَامَةَ إِلَى أَرْضِ الْعِرَاقِ فَهُوَ نَجْدٌ، وفِي الْيَمَنِ يُسَمَّى كُلُّ مَا بَيْنَ السَّرَاةِ وَالرُّبْعِ الْخَالِي نَجْدًا، أَمَّا نَجْدٌ الْعَلَمُ فَهُوَ قَلْبُ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، تَتَوَسَّطُهُ مَدِينَةُ الرِّيَاضِ عَاصِمَةُ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ ، وَيَشْمَلُ أَقَالِيمَ كَثِيرَةً مِنْهَا: الْقَصِيمُ وَسَدِيرٌ وَالْأَفْلَاجُ وَالْيَمَامَةُ وَالْوَشْمُ وَغَيْرُهَا.

وَنَجْدٌ الْيَوْمَ كَثِيرُ الْمُدُنِ الْعَامِرَةِ، فَبِالْإِضَافَةِ إِلَى الرِّيَاضِ، هُنَاكَ مُدُنُ الْقَصِيمِ الثَّلَاثِ: بُرَيْدَةَ وَعُنَيْزَةَ وَالرَّسِّ. وَهُنَاكَ مَدِينَةُ حَائِلٍ قَاعِدَةٌ شَمَالَ نَجْدٍ...[١٤٩].

و" **نجْد** " **عند شراح الحديث هي نجد العراق**، قال بدر الدين العيني عند حديثه عن مطابقة الحديث السابق لترجمته:" وَهُنَاكَ الزلازل والفتن، وَبهَا يطلع قرن الشَّيْطَان، وَأَشَارَ بقوله: "هُنَاكَ" إِلَى نجد، ونجد من الْمشرق، قَالَ الْخطابِيّ: نجد من جِهَة الْمشرق، وَمن كَانَ بِالْمَدِينَةِ كَانَ نجده بادية الْعرَاق ونواحيها، وَهِي مشرق أهل الْمَدِينَة، وأصل النجد مَا

---

(١٤٩) معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، للبلادي، ص ٣١٢، ٣١٣، وينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر(٧١٢/٢) باب النون مع الجيم، مختار الصحاح، للرازي، ص ٣٤٧/ باب النون، والمصباح المنير، للفيومي، ص ٣٧١/ كتاب النون/ النون مع الجيم وما يثلثهما.



ارْتَفع من الأَرْض، وَهُوَ خلاف الْغَوْر فَإِنَّهُ مَا انخفض مِنْهَا، وتهامة كلهَا من الْغَوْر، وَمَكَّة من تهَامَة الْيمن(١٥٠).

وقد نقل كلام الخطابي السابق الإمامُبدر الدين العيني، والحافظ ابن حجر، والمباركفوري.

وهذا رأي الشيخ الألباني -رحمه الله- أيضاً، قال: " فيُسْتَفَادُ من مجموع طرق الحديث أن المراد من "نجد" في رواية البخاري، ليس هو الإقليم المعروف اليوم بهذا الاسم(١٥١)وإنما العراق، وبذلك فسَّره الإمام الخطَّابِيّ، والحافظ ابن حجر العسقلاني، وتجد كلامهما في ذلك في "شرح كتاب الفتن" من "صحيح البخاري".

وقد تحقق ما أنبأ به -عليه السلام، فإن كثيراً من الفتن الكبرى كان مصدرها العراق، كالقتال بين سيدنا علي ومعاوية، وبين علي والخوارج، وبين علي وعائشة، وغيرها مما هو مذكور في كتب التاريخ؛ فالحديث من معجزاته ﷺوأعلام نبوته" (١٥٢).

قال ابن تيمية: " ومعلوم أنه كان بالكوفة من الفتنة والتفرق ما دل عليه النص والإجماع لقول النبي ﷺ {الفتنة من هاهنا؛ الفتنة من هاهنا؛

---

(١٥٠)عمدة القاري (٢٤/٢٠٠)، فتح الباري (١٣/ ٤٧) باب قول النبي ﷺالفتنة من قبل المشرق أي من جهته/ ح ٧٠٩٢، تحفة الأحوذي (١٠/ ٣١٤) باب في فضل الشام واليمن

(١٥١)الذي بقلب الجزية العربية، وهو نجد العلَم الذي بالمملكة العربية السعودية.

(١٥٢)تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي، للألباني (١/ ٢٦).

الفتنة من هاهنا؛ من حيث يطلع قرن الشيطان} وهذا الحديث قد ثبت عنه في الصحيح من غير وجه" (١٥٣).

وهناك رواية جاءت فيها العراق مكان نجد:

وقبل أن أسوق هذه الرواية أذكر الرواية التي وردت فيها نجد أولاً حتى تتضح المقارنة، ثم أعقبها بالرواية التي جاءت فيها العراق مكانها.

أخرج البخاري بسنده عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفِي نَجْدِنَا؟ فَأَظُنُّهُ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «هُنَاكَ الزَّلاَزِلُ وَالفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ»(١٥٤).

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْفَجْرَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ فَقَالَ: " اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا وَصَاعِنَا(١٥٥)، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَيَمَنِنَا ". فَقَالَ رَجُلٌ: وَالْعِرَاقُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " مِنْ ثَمَّ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ، وَتُهَيَّجُ الْفِتَنُ».قال الهيثمي: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ(١٥٦)، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ(١٥٧).

---

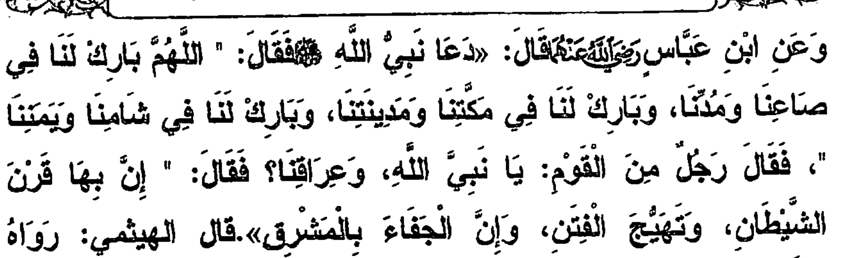
(١٥٣)مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٠/ ٣١٦).

(١٥٤)سبق تخريجه، ص

(١٥٥) قوله: "فِي صَاعِنَا ومُدِّنا" يُرِيدُ فِي طَعَامِنَا الْمَكِيلِ بِالصَّاعِ وَالْمُدِّ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ دَعَا لَهُمْ بِالْبَرَكَةِ فِي أَقْوَاتِهِمْ جَمِيعًا.[إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، للبوصيري (٣/ ٢٥١)].

(١٥٦)المعجم الأوسط، (٤/ ٢٤٥) ح ٤٠٩٨.

(١٥٧)ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٣٠٥) باب الصبر على جهد المدينة/ح ٥٨١٦، وعزاه للطبراني في الأوسط.



وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «دَعَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: " اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَمُدِّنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَكَّتِنَا وَمَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَيَمَنِنَا "، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَعِرَاقِنَا؟ فَقَالَ: " إِنَّ بِهَا قَرْنَ الشَّيْطَانِ، وَتَهَيُّجَ الْفِتَنِ، وَإِنَّ الْجَفَاءَ بِالْمَشْرِقِ».قال الهيثمي: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ(١٥٨)، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ(١٥٩).

قال أبو عمر(ابن عبدالبر):" دعاؤه صلى الله عليه وسلم للشام يعني لأهلها، كتوقيته لأهل الشام الجحفة ولأهل اليمن يلملم؛ علماً منه بأن الشام سينتقل إليها الإسلام، وكذلك وقّت لأهل نجد قرناً يعني علماً منه بأن العراق ستكون كذلك، وهذا من أعلام نبوته ﷺ" (١٦٠).

والظاهر في وجه تخصيص المكانين بالبركة في قوله ﷺ:(اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك في يمننا)؛ لأن طعام أهل المدينة مجلوب منهما،وإنما دعا لهما بالبركة؛ لأن مولده بمكة وهو من اليمن، ومسكنه ومدفنه بالمدينة وهي من الشام،وناهيك من فضل الناحيتين أن إحداهما مولده والأخرى مدفنه، فإنه أضافهما إلى نفسه، وأتى بضمير الجمع تعظيماً (١٦١).

---

(١٥٨)المعجم الكبير، للطبراني (١٢/٨٤) ح ١٢٥٥٣.

(١٥٩)ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٣٠٥) باب الصبر على جهد المدينة، ح ٥٨١٧، وعزاه للطبراني في الكبير.

(١٦٠) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر(١/ ٢٧٩).

(١٦١)تحفة الأحوذي (١٠/ ٣١٤) باب في فضل الشام واليمن.

وترك النبي ﷺ الدعاء لأهل المشرق؛ ليضعفوا عن الشر الذي هو موضوع في جهتهم لاستيلاء الشيطان بالفتن" [١٦٢]. أقول: ولأنه كان يعلم ما سيقع هناك من الفتن والشرور.

وقد تحدث صاحب (تحفة الأحوذي) عن سبب ترك النبي ﷺالدعاء بالبركة لنجد فقال: "(هنالك) أي في نجد (الزلازل) أي الحسية أو المعنوية وهيتزلْزّل القلوب واضطراب أهلها (والفتن) أي البليات والمحن الموجبة لضعف الدين وقلة الديانة، فلا يناسبه دعوة البركة له" [١٦٣].

وقد التمس الصحابة من رسول الله ﷺالدعاء بالبركة لنجد فرفض؛لأن بها الزلازلوالفتن، وقد جاء في رواية البخاري السابقة: " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفِي نَجْدِنَا؟" أي: قال الصحابة،وهو عطف تلقين والتماس، أي قُل: وفي نجدنا؛ لتحصل البركة لنا كما حصلت للمذكورين[١٦٤].

ما هي صفات أهل المشرق التي جعلت النبي ﷺينسب إليهم الفتن والكفر؟

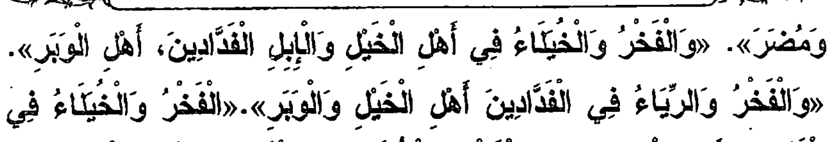
الجواب:لقد جاءت روايات صحيحة تبين صفات أهل المشرق التي جعلت النبي ﷺينسب إليهم الفتن والكفر، وهي:

«وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ فِي أَصْحَابِ الإِبِلِ». «وَإِنَّ الْقَسْوَةَ وَغِلَظَ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ، عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الْإِبِلِ، حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ فِي رَبِيعَةَ،

(١٦٢)فتح الباري (٤٦/١٣) باب قول النبي ﷺالفتنة من قبل المشرق، ح ٧٠٩٢.

(١٦٣)تحفة الأحوذي (٣١٤/١٠، ٣١٥).

(١٦٤)تحفة الأحوذي (٣١٤/١٠) بتصرف.



وَمُضَرَ». «وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ فِي أَهْلِ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ الْفَدَّادِينَ، أَهْلِ الْوَبَرِ». «وَالْفَخْرُ وَالرِّيَاءُ فِي الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْخَيْلِ وَالْوَبَرِ».«الْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ فِي الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ». « وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ فِي الْفَدَّادِينَ، أَهْلِ الْوَبَرِ، قِبَلَ مَطْلِعِ الشَّمْسِ» (١٦٥).

بالتأمل في الروايات السابقة يظهر أن الصفتين اللتين اتصف بهما أهل المشرق هما: الفخر، والخيلاء، وذلك بسبب امتلاكهم للخيل والإبل، ومن المعلوم أن المالكين لهما والعاملين على رعايتهما وتربيتهما أهل جفاء وغلظة لبعدهم عن الأمصار والحضر، وينشغلون بهما عن أمور دينهم مما يؤدي إلى قسوة القلب وغلظته.

وأنتقل إلى شرح الألفاظ الواردة في الروايات السابقة.

معنى قولهﷺ: " الفخر والخيلاء في الفدادين أهل الخيل والوبر"

(الفخر) هو الافتخار وعدّ المآثر القديمة تعظيماً مما يؤدي إلى الإعجاب بالنفس، و(الخُيلاء) بضم الخاء وكسرها وفتح التحتية والمد، أي الكبر والعجب واحتقار الغير (١٦٦).

قوله: (فِي الْفَدَّادِينَ) قَالَ النَّوَوِيُّ: " الصَّوَابُ فِي الْفَدَّادِينَ بِتَشْدِيدِ الدَّالِ جَمْعُ فَدَّادٍ بِدَالَيْنِ أُولَاهُمَا مُشَدَّدَةٌ، وَهَذَا قَوْلُ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالْأَصْمَعِيِّ وَجُمْهُورِ أَهْلِ اللُّغَةِ، وَهُوَ مِنَ الْفَدِيدِ وَهُوَ الصَّوْتُ الشَّدِيدُ، فَهُمُ الَّذِينَ تَعْلُو

---

(١٦٥)وقد سبق تخريجها ص

(١٦٦)عمدة القاري(٧١/١٦)، إرشاد الساري (٥،٤٤٠/٦)، تحفة الأحوذي (٦/ ٤٢٤) أبواب الفتن/ باب ما جاء في الدجال لا يدخل المدينة.

أَصْوَاتُهُمْ فِي إِبِلِهِمْ وَخَيْلِهِمْ وَحُرُوثِهِمْ وَنَحْوِ ذَلِكَ. (أَهْلِ الْخَيْلِ وَأَهْلِ الْوَبَرِ) بِالْجَرِّ بَدَلٌ أَوْ بَيَانٌ وَالْوَبَرُ بِفَتْحِ الْوَاوِ الْمُوَحَّدَةِ شَعْرُ الْإِبِلِ أَيْ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الْمَدَرِ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ تُعَبِّرُ عَنْ أَهْلِ الْحَضَرِ بِأَهْلِ الْمَدَرِ وَعَنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ بِأَهْلِ الْوَبَرِ؛ لِأَنَّ بُيُوتَهُمْ غَالِبًا خِيَامٌ مِنَ الشَّعْرِ" (١٦٧).

وقد حكى الإمامان: البغوي والنووي عدة معان في الفدادين باعتبار التخفيف والتشديد، فباعتبار التخفيف المراد بها البقرة التي يحرث عليها، وأهلها أهل جفاء لبعدهم من الأمصار، وهذا قول أبي عمرو الشيباني، وقد حكاه عنه أبو عبيد وأنكره عليه، وعلى هذا المراد بذلك أصحابها، فحذف المضاف. وباعتبار التشديد الذي ذهب إليه الأكثرون- وهو قول أهل الحديث والأصمعي وجمهورأهل اللغة وهو الصواب- هم الجمالون والبقارون والحمارون.وقال الأصمعي: هم الذين تعلو أصواتهم في حروثهم وأموالهم ومواشيهم، وقال أبوعبيدة معمر بن المثنى: الفدادون هم المكثرون من الإبل، الذي يملك أحدهم المئتين منها إلى الألف، وهم جفاة وأهل خيلاء (١٦٨).

يظهر مما سبق أن الفدادين أهل جفاء لبعدهم عن الأمصار، ووصفهم النبي ﷺبالفخر والخيلاء؛ لكثرة ما يملكون من الإبل التي هي من أسبابهما.

---

(١٦٧)تحفة الأحوذي (٦/ ٤٢٣) أبواب الفتن/ باب ما جاء في الدجال لا يدخل المدينة.

(١٦٨)شرح السنة، للبغوي (٢٠١،٢٠٢/١٤)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج/ كتاب الإيمان/ باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه (٢٨،٢٩/٢)، عمدة القاري (٧١/١٦).

لماذا ذمّ النبي ﷺ الفدّادين أهل الوبر؟

قال الخطابي: " إنما ذم هؤلاء؛ لاشتغالهم بما هم فيه عن أمور دينهم، وذلك يفضي إلى قساوة القلب" (١٦٩).

وقال الإمام البغوي: " وفي الجملة ذمّ ذلك؛ لأنه يشغل عن أمرالدين، ويلهي عن الآخرة،فيكون معها قساوة القلب" (١٧٠).

أقول: إن ذمّ النبي ﷺ لهؤلاء إنما يحمل على أن أغلب حال هؤلاء الانشغال بما يملكونه عن أمور دينهم وآخرتهم، واكتساب صفة الغرور والكبر والبطش والتعالي على من دونهم، أما من لا تشغله هذه الممتلكات عن دينه وآخرته، ولم تكسبه الصفات السابقة التي تؤدي إلى تعاليه على الناس، فلا يشمله الذم، وهذا من عدالة الإسلام وسماحته؛ لأننا نرى من يوسع الله عليه ومع ذلك نجده متواضعاً، ويؤدي حق الله في ماله.

---

(١٦٩)السابق (٦/٥) كتاب المناقب.

(١٧٠) شرح السنة ، للإمام البغوي (١٤/ ٢٠١، ٢٠٢) باب ذكر أهل اليمن

تنبيهات وتوصيات

١- **أقول: بناءً على القول بأن نجداً هي نجدُ العراق، فليس معنى ذلك أن نتوجه إلى العراق بالذم، أو أن العراق** كلها شر، أو أنه لم يخرج منها أولياء أو علماء للتصدي لهذه الفتن، ويكونون نبراساً ونوراً للناس يسترشدون بهم؛ لتتم حجة الله على أهلها، فقد خرج منها الإمام أحمد، وعاش بها الشافعي ولقب بناصر السنة، ومذهبه القديم كان بالعراق، وخرج منها الإمام الجُنيد، وبمراجعة دقيقة لكتاب (تاريخ بغداد) للخطيب نجد أن مؤلفه تناول تاريخ علماء بغداد من: فقهاء ومحدثين فضلاً عن رجال الدولة من خلفاء ووزراء منذ تأسيسها إلى عصره، وقد بلغت تراجمه حوالي ٧٨٣١، ووضح الخطيب في كتابه كثرة ورود طلاب العلم إليها، وقد كانت عاصمة الخلافة العباسية، والتاريخ شاهد أيضاً على كمٍّ الكتب التي طرحها التتار لما نزلوا بغداد في نهر دجلة حتى اسود ماؤه من مداد الكتابة، وحتى صارت الكتب من كثرتها جسراً يعبرون عليه، مما يدل على كثرة كنوز العلم التي كانت بها نتيجة لكثرة علمائها.

والنبي ﷺ لا يريد أن يذم بلدة أو جهة بعينها، وإنما أخبر عما يقع في هذه الجهة من الكفر والفتن، والذي يعنينا من ذلك هو تحقق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام وهذا من معجزاته وأعلام نبوته ﷺ.

وإخبار النبي ﷺ عما يقع في جهة المشرق من الفتن والكفر المراد به أن ينتبه ويتيقظ المقيم والساكن في هذه الجهة فيحرص على عدم الوقوع فيها، ويحذر منها.

ولم يرد النبي ﷺ ذمّ الزمان أو المكان.

قال صاحب كتاب (أكمل البيان في شرح حديث النجد قرن الشيطان) في هذا الصدد تحت عنوان: (إزالة شبهة): "ليس المراد من طلوع قرن الشيطان من أرض العراق والكوفة، ولا من كونها رأس الكفر أن أولياء لم يوجدوا هناك، أو لا يوجدون فيما يستقبل، بل المراد من تلك الأحاديث أن بلاد العراق وأرض الكوفة منبع لظهور الفتن والزلازل، وجديرة بصدور الشرور والبدع وأنواع الضلال أكثر من غيرها، فإذا كان الأمر كذلك فلا بد من أن يبعث الله من تلك البلاد جهابذة من العلماء ومشاهير الأئمة،ونحارير المجتهدين؛ ليتم حجته على أهلها، فلذلك ارتحل إليها أجلّالصحابة رضوان الله عليهم أجمعين واستوطنوها، وتولد كبار أئمة التابعين في الكوفة والبصرة وبغداد، وانتقل الإمام الشافعي من مكة إلى العراق لنشر الكتاب وإشاعة السنة، وكان يلقب هناك بناصر السنة، وولد بالعراق نفسها إمام أهل السنة أحمد بن حنبل ...، وكذا ولد هناك كبار مشائخ العلم كالجُنيد البغدادي، والشيخ عبد القادر الجيلاني، ولا تزال طائفة من أهل الحق تخرج من هناك إلى يوم القيامة، ولا يضرهم من خالفهم، أيدهم الله وكثر سوادهم"(١٧١).

وقال الشيخ/ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ: "ولا يقول مسلم بذم علماء العراق لما ورد

---

(١٧١)أكمل البيان، ص٤٣، ٤٤، وينظر: العراق في أحاديث وآثار الفتن، المؤلف: أبو عبيدة مشهور ابن حسن بن محمود آل سلمان، ص ٤٣.

فيها، وأكابر أهل الحديثوفقهاء الأمة وأهل الجرح والتعديل أكثرهم من أهل العراق، وإمام السنَّة أحمد بن حنبل، وشيخ الطريقةالجنيد بن محمد، وعلَم الزهَّاد الحسنَ وابن سيرين، وأبو حنيفة وأصحابه، وسفيان الثوري وأصحابه، وإسحاق بن إبراهيم بن راهويه، ومحمد بن إسماعيل، ومسلم بن الحجاج، وأبو داود وأصحاب السنن وأصحاب الدواوين الإسلامية، كلهم عراقيو الدار مولداً أو سكنى، والليث بن سعد، ومحمد بن إدريس وأشهب، ومنْ قبل هؤلاء كلهم سكن العراق ومصر، وجملة من أكابر أصحاب رسول الله ﷺومن التابعينبعدهم. **ومن عاب الساكن بالسكنى والإقامة في مثل تلك البلاد، فقد عاب جمهور الأمة، وسبهم، وآذاهم بغير ما اكتسبوا**، وقد داول الله الأيام بين البقاع والبلاد، كما داولها بين الناس والعباد. قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. وكم من بلد قد فتحت، وصارت من خير بلاد المسلمين بعد أن كانت في أيدي الفراعنة والمشركين، والكفرة من المجوس، بل الخربة التي كانت بها قبور المشركين صارتمسجداً هو أفضل مساجد المسلمين بعد المسجد الحرام؟ ودفن بها أفضل المرسلين وسادات المؤمنين[١٧٢].

---

(١٧٢)أقول: وقد جاء ذلك في ثنايا حديث أخرجه مسلم في صحيحه في قصة بناء مسجد النبي ﷺ كتاب المساجد ومواضع الصلاة/ بَابُ ابْتِنَاءِ مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ (٣٧٣/١) حديث رقم (٥٢٤/٩) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والشاهد فيه: " قَالَ أَنَسٌ: فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ: كَانَ فِيهِ نَخْلٌ وَقُبُورُ الْمُشْرِكِينَ وَخِرَبٌ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ، وَبِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ، وَبِالْخِرَبِفَسُوِّيَتْ"

إن طرد هذا الكلام (وهو عيب الساكن بالمكان أو بالبلد الذي يسكن فيه) يوجب ذمّ كل من سكن بلدة من بلاد المسلمين التي سكنها قبله أعيان المشركين، ورؤوس الكافرين، فأي أحد يبقى لو طرد هذا؟ وقد قال صلى الله عليه وسلم: " «لو كان الإيمان معلقاً بالثُريا (١٧٣) لناله رجال من فارس» " (١٧٤) مع أن بلادهم من شر البلاد، عبدت فيها الأوثان والنيران، وكُفر فيها بالله الذي لا إله إلاَّ هو الرحمن"(١٧٥).

٢- **من الخطإ الجسيم حصر**انتشار الفتن بالعراق بحدوده الجغرافية اليوم، ونسيان مسمى (العراق) وحدوده آنذاك، وتناسي

---

(١٧٣) (الثريا) الثُّرَيَّا: النَّجم الْمَعْرُوفُ، وَهُوَ تَصْغِير ثَرْوَى. يُقَالُ ثَرَى الْقَوْمُ يَثْرُون، وأَثْرَوا: إِذَا كَثُروا وكَثُرتْ أموالُهم. وَيُقَالُ: إِنَّ خِلال أَنْجُم الثُّرَيَّا الظَّاهِرَةِ كواكبَ خَفِيَّةً كثيرةَ العَدد.قَالَ ابْنُ فَارِسٍ: النَّجْمُ وَظِيفَةُ كُلِّ شَيْءٍ وكُلُّ وَظِيفَةٍ نَجْمٌ وَإِذَا أَطْلَقَتْ الْعَرَبُ النَّجْمَ أَرَادُوا الثُّرَيَّا وَهُوَ عَلَمٌ عَلَيْهَا بِالْأَلِفِ وَاللَّامِ [ينظر: النهاية في غريب الحديث(١/ ٢١٠)، غريب الحديث، لابن الجوزي(٢/٣٩٥)، المعجم الوسيط (٩٥/١) باب الثاء؟

(١٧٤) أخرجه البخاري في صحيحه – ذاكراً سبب وروده- بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَالنَّبِيِّ ﷺ، فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الجُمُعَةِ: {وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} [الجمعة: ٣] قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ حَتَّى سَأَلَ ثَلاَثًا، وَفِينَا سَلْمَانُ الفَارِسِيُّ، وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: «لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا، لَنَالَهُ رِجَالٌ - أَوْ رَجُلٌ - مِنْ هَؤُلاَءِ» [صحيح البخاري/ كتاب التفسير/ بَابُ قَوْلِهِ: {وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} [الجمعة: ٣](٦/١٥١)ح ٤٨٩٧].

(١٧٥) مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام،عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ (٢/٣٦٧- ٣٦٩) بتصرف.

الأحاديث التي فيها ذكر عموم جهة (المشرق)،ويدل على هذا: ما أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» بسند صحيح عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: «هَلْ بِالْعِرَاقِ أَرْضٌ يُقَالُ لَهَا خُرَاسَانُ» قَالُوا: نَعَمْ . قَالَ: «فَإِنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ مِنْهَا»[١٧٦] ففي هذا الأثر أن (خراسان) من العراق، مع أنها الآن في إيران [١٧٧].

٣- الأرض لا تطهر ولا تقدس أحداً:

قال ابن عبد البر: " إِنَّ الْأَرْضَ لَا تُقَدِّسُ صَاحِبَهَا وَإِنَّمَا يُقَدِّسُ الْمَرْءَ عَمَلُهُ، وَإِنَّ مَنْ مَدَحَ بَلْدَةً وَذَمَّ أُخْرَى يَحْتَاجُ إِلَى تَوْقِيفٍ مِمَّنْ يجب التسليم له، على أَنَّهُ لَا مَدْحَ وَلَا ذَمَّ لِبَلْدَةٍ إِلَّا عَلَى الْأَغْلَبِ مِنْ أَحْوَالِ أَهْلِهَا، وَأَمَّا عَلَى العموم فلا، وَقَدْ عَمَّ الْبَلَاءُ وَالْفِتَنُ الْيَوْمَ فِي كُلِّ جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِ الدُّنْيَا" [١٧٨].

قال سلمان لما كتب إليه أبو الدرداء أن يقدم إلىالأرض المقدَّسة، فكتب إليه: "إنَّ الأرض لا تُقدّس أحداً"[١٧٩] وكذلك الأرض لا تؤثر في الإضلال والشقاوة، وقد سكن الحرمين والأرض المقدَّسة من هو أضلّ خلق الله وأكفرهم،وأشدّهم عداوة لله،بل سكن الأرض المقدسة من قتل الأنبياء

---

(١٧٦)المصنف، لابن أبي شيبة/ كتاب الفتن/ ما ذكر في فتنة الدجال، (٧/ ٤٩٤) أثر ٣٧٤٩٩.

(١٧٧)العراق في أحاديث وآثار الفتن، المؤلف: أبو عبيدة مشهور بن حسن بن محمود آل سلمان، ص ١٦٨- ١٧٠، بتصرف.

(١٧٨)الاستذكار، لابن عبدالبر (٨/ ٥٢٠، ٥٢١).

(١٧٩)بعض حديث أخرجه مالك في الموطأ/ كتاب الوصية/ باب جامع القضاء وكراهته(٢/٧٦٩)ح٧.

وعَبَد العجل، وفعل ما قصّ الله عن بني إسرائيل، ولم تزل مقدسة مع ذلك تبعث فيها الأنبياء وتسكنها، ومصر دار الفراعنة والجبارين قد فتحت زمن عمر، وبنيت فيها المساجدوسكنها الصحابة والتابعون، وجملة من أكابر العلماء كالليث بنسعد ومحمد بن إدريس، وأكابر أصحابه، وأشهب صاحب مالك، وخلق لا يحصيهم إلاَّ الله من أهل العلم والدين، ولم يقل أحد منهم: هذه دار فرعون الذي قتل بني إسرائيل وكذَّب الرسلوادعى الربوبية، واتَّبعه قومه على ذلك، وما من حرم للمسلمين، ولا بلدة من بلادهم، ومساكن الأنبياء، إلاَّ وقد وقع فيها من الكفر والفسوق والقتال ما هو معروف مشهور.ولا يعيب المسلمين، ويتنقص المؤمنين بمن سكن ديارهم من الفراعنة الجبارينوالكفرة الماضين إلاَّ من هو معدود من جملة الحمقى الضالين(١٨٠).

٤- المدح والذم الشرعيان يتوجهان إلى الإيمان والكفر لا إلى سكنى الأرض أو الانتساب إلى قوم،قال تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٧].ومع هذا فقد أثنى الله تعالى على من آمن بالله واليوم الآخر منهم، واستثناهم من العموم، قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ [التوبة: ٩٩] (١٨١).

---

(١٨٠)مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخالإمام (٢/٣٦٣، ٣٦٤).

(١٨١)مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخالإمام (٢/٣٧١، ٣٧٢).

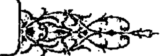
ما الداعي للتنبيهاتوالتوصيات السابقة؟

الجواب: إن الداعي للتنبيهات السابقة هو تصحيح المفاهيم المغلوطة للحديث، فقد تمسك المعادون لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بالحديث الذي قال فيه رسول الله ﷺعن نجد: "هناك الزلازل والفتن، وبها يطلُع قرن الشيطان" وقد سبق تخريجه، وقالوا: إن المقصود بنجد هي نجد اليمامة(المعروفة اليوم بالنجد السعودية) والشيخ نجدي، ومن هنا سوغوا لأنفسهم نسبة دعوة الشيخ إلى البدعة والكفر، وجعلوها من الفتن التي أشار إليها رسول الله ﷺ، ويرد عليهم بما ذكر في التنبيهات.

وإذا طعنّا في الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ لانتسابه إلى نجد، فالعراق – التي جاء فيها أنها رأس الكفر والفتن– ظهر منها الإمام أحمد بن حنبل، فهل معنى ذلك أن يطعن فيه أيضاً؟.

ولو فتحنا باب الحكم على العلماء بمجرد الانتساب إلى أماكنهم وبلدانهم لما وجدنا عالمايسلم من ذلك إلا من رحم الله، وقد قالرجل من مصر لرجل من أهل نجد: مسيلمة الكذاب من خير نجدكم، فقال له رجل من أهل نجد مجيباً عليه: وفرعون اللعين رئيس مصركم فبُهت الرجل.

وفي نهاية الحديث عن نسبة النبي ﷺالكفر والفتن إلى جهة المشرق، أقول: إن المشرق يشمل المشرق الأدنى والمشرق الأقصى.

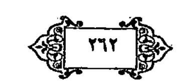


فإن المشرق الأدنى نجد اليمامة وما حولها، وقد ظهرت فيها فتن: كُمسيلمة الكذاب(١٨٢)، وسجاح (١٨٣) وغيرهما.

---

(١٨٢) مُسَيْلِمَة الكذَّاب(٠٠٠ - ١٢ هـ = ٠٠٠ - ٦٣٣ م)مسيلمة بن ثمامة الحنفي الوائلي،متنبئ(ادّعى النبوة)، وفي الأمثال (أكذب من مسيلمة)، ولد ونشأ باليمامة، في القرية المسماة اليوم بالجبيلة، بقرب (العيينة) بوادي حنيفة، في نجد، ولما ظهر الإسلام وافتتح النبي ﷺ مكة، جاءه وفد من بني حنيفة، فأسلم الوفد، ولما رجعوا إلى ديارهم كتب مسيلمة إلى النبي ﷺ: (من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله. سلام عليك، أما بعد فإنّي قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشاً قوم يعتدون) فأجابه: (بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله، إلى مسيلمة الكذاب، السلام على من اتبعالهدى. أما بعد فإن الأرض للَّه يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين، وذلك في أواخر سنة ١٠ هـ، وكان مسيلمة الكذاب قد أسقط وجوب صلاتي الصبح والمغرب، وجعل سقوطها مهراً لامرأته سجاح المتنبية، ومما يحكى عن ترهات مسيلمة الكذاب أنه قال: (الفيل وما أدراك ما الفيل، له ذنب وثيل، وخرطوم طويل). فضحك منه أصحابه، وعلموا بأنه كذاب، وقُتل مسيلمة في الحرب التي كانت بقيادة خالد بن الوليد سنة ١٢ه [ينظر: الفَرْق بين الفِرَق (١/ ٣٣٥)، الاقتصاد في الاعتقاد (١/ ١١٣)، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار(١/ ١٠٢)، الأعلام (٢٢٦، ٢٢٧)].

(١٨٣) سجاح بنت الحارث بن سويد التغلبية، وكانت من نصارى العرب، وادعت النبوة بعد موت النبي ﷺوحدوث الرِدّة في القبائل، وقد اجتمع معها مسيلمة الكذاب، وأقامت في قومها بني تغلب إلى زمان معاوية، فأجلاهم عنها عام الجماعة، ويذكر أنها أسلمت وحسن إسلامها وانتقلت إلى البصرة وماتت بها سنة ٥٥هـ، وأنه صلى عليها سمرة بن جندب عامل معاوية إذ ذاك على البصرة، وقيل: غير ذلك، ماتت نحو ٥٥ه[ينظر: البداية ٦(٦/ ٣١٩) ، الكامل (٢/ ٣٥٤)، الأعلام (٣/٧٨)].



قال ابن تيمية: " ولا ريب أنه من هؤلاء ظهرت الردّة وغيرها من الكفر، من جهة «مسيلمة الكذاب» وأتباعه، ....، و«سجاح» وأتباعها، حتى قاتلهم «أبو بكر الصديق» ومن معه من المؤمنين، حتى قتل من قتل، وعاد إلى الإسلام من عاد مؤمنًا أو منافقًا [١٨٤].

وأما المشرق الأقصى: العراق وخراسان وما وراءهما فإن فرق الجهمية[١٨٥] والمعتزلة[١٨٦] والخوارج وغيرهم انطلقت من هناك، وفي آخر الزمان يخرج الدجال من هناك.

---

(١٨٤) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لابن تيمية (١/ ٢٣، ٢٤).

(١٨٥)قوام هذا المذهب: نفي الفعل حقيقة عن العبد، وإضافته إلى الله تعالى، إذ العبد لا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله، لا قدرة ولا إرادة ولا اختيار، وإنما يخلق الله سبحانه وتعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات، وتنسب إليه الأفعال مجازاً كما تنسب إلى الجمادات، وكما يقال: أثمرت الشجرة أو جرى الماء...، وقد صار هذا الرأي مذهباً في العصر الأموي، وصار له ناس يقتفونه ويدعون إليه، يدرسونه ويبينونه للناس، ونسب هذا المذهب إلى جهم بن صفوان [تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والاعتقاد، ص ١٠٢، ١٠٤].

(١٨٦)نشأت هذه الفرقة في العصر الأموي، وبعضهم يرى أنها ابتدأت في قوم من أصحاب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اعتزلوا السياسة، وانصرفوا إلى العقائد عندما نزل الحسن عن الخلافة لمعاوية، والأكثرون على أن رأس المعتزلة هو واصل بن عطاء، وكان يحضر مجلس الحسن البصري، فخالفه في مسألة مرتكب الكبيرة، وقال: ليس بمؤمن بإطلاق، ولا هو كافر بإطلاق، بل هو في منزلة بين المنزلتين، ثم اعتزل مجلس الحسن البصري، ولهم أصول خمسة، واعتمدوا على العقل في معرفة العقائد [تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والاعتقاد، ص ١٠٢، ١٠٤].

ولا يلزم من هذا أنه لا توجد فتنة من جهة المغرب، أومن ناحية الشمال أو الجنوب، فقد تكون هناك فتن، ولكن أكثرها بالمشرق كما سبق.

ومما يشيرإلى تعدد جهات ومواطن الفتن ما أخرجه الحاكم، قال: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُؤَمَّلِ بْنِ الْحَسَنِ، ثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، ثَنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ، ثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، ثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ عَيَّاشٍ، أَخُو أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِﷺ: " أُحَذِّرُكُمْ سَبْعَ فِتَنٍ تَكُونُ بَعْدِي: فِتْنَةٌ تُقْبِلُ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَفِتْنَةٌ بِمَكَّةَ، وَفِتْنَةٌ تُقْبِلُ مِنَ الْيَمَنِ، وَفِتْنَةٌ تُقْبِلُ مِنَ الشَّامِ، وَفِتْنَةٌ تُقْبِلُ مِنَ الْمَشْرِقِ، وَفِتْنَةٌ تُقْبِلُ مِنَ الْمَغْرِبِ، وَفِتْنَةٌ مِنْ بَطْنِ الشَّامِ وَهِيَ السُّفْيَانِيُّ[187] " قَالَ: فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مِنْكُمْ مَنْ يُدْرِكُ أَوَّلَهَا، وَمِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَنْ يُدْرِكُ آخِرَهَا» ، قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عَيَّاشٍ: «فَكَانَتْ فِتْنَةُ الْمَدِينَةِ مِنْ قِبَلِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ، وَفِتْنَةُ مَكَّةَ فِتْنَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ،

---

(١٨٧) والسُّفياني المذكور في كتب الملاحم والفتن أنه يخرج في آخر الزمان، يقال: إنَّ بعض آل أبي سفيان وضع خبره لمّا زالت دولتهم» .قال مصعب بن عبد الله الزُّبيري (ت ٢٣٦هـ) في كتابه «نسب قريش» (ص ١٢٩) في ترجمة (خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان) : «زعموا أنه هو الذي وضع ذكر السفياني وكثَّره، وأراد أن يكون للناس فيهم طمع، حين غلبه مروان بن الحكم على الملك، وتزوج أمَّه أمَّ هاشم، وقد كانت أمُّه تكنى به» ، ونقله عنه المزي في «تهذيب الكمال» (٢٠٢/٨)، وأقره ابن حجر في «التهذيب» (١٢٨/٣) ترجمة خالد بن يزيد بن معاوية[ينظر: العراق في أحاديث وآثار الفتن، المؤلف: أبو عبيدة مشهور بن حسن بن محمود آل سلمان، ص ٥٠٧].

أقول: حمل أحاديث السفياني على شخصيات معاصرة خطأ.

وَفِتْنَةُ الشَّامِ مِنْ قِبَلِ بَنِي أُمَيَّةَ، وَفِتْنَةُ الْمَشْرِقِ مِنْ قِبَلِ هَؤُلَاءِ»[١٨٨].
وقوله: " وفتنة المشرق من قبل هؤلاء" المقصود بها المشرق على جهة العموم(الأقصى والأدنى) كما سبق.

وممن ذهب إلى أن جهة المشرق تشمل نجد الحجاز ونجد العراق الشيخ مقبل ابن هادي الوادعي، فقد أجابعن سؤال في بيانمعنى (نجد): أهي نجد الحجاز أم هي نجد العراق؟ فقال:«الذي يظهر أنها تشمل هذا وهذا، فنجد عبارة عن ما ارتفع من الأرض، والعراقمرتفع، ويسمى نجداً، وهكذا -أيضاً- اليمامة وغيرها فهو مرتفع، ويسمى نجداً، ولكن إخواننا النجديين يريدون أن يرموا به أهل العراق، فالظاهر أنه يشمل هذا وهذا، ... والله أعلم»[١٨٩].

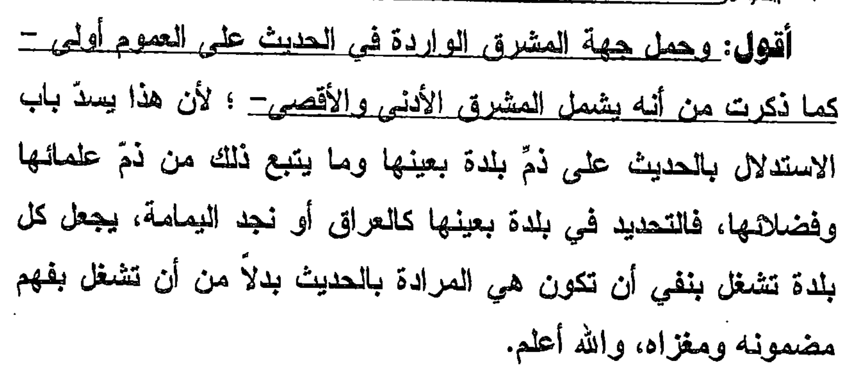
وممن ذهب أيضاً إلى حمل جهة المشرق على عمومها ابن مفلح، حيث أورد جملة من ألفاظ الأحاديث وعنون لها بفصل: [**فَصْلٌ إشَارَاتٌ نَبَوِيَّةٌ إلَى مَا يَقَعُ مِنْ شَرْقِ الْمَدِينَةِ وَيُمْنِهَا وَنَجْدِهَا**][١٩٠].

---

(١٨٨)المستدرك على الصحيحين/ كتاب الفتن والملاحم (٤/٥١٥) ح ٨٧٤٧. قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ " وقال الذهبي في التلخيص: " هذا من أوابد نعيم".وإسناده ضعيف؛ نعيم بن حماد: صدوق يخطئ كثيراً، وقد تتبع ابن عدي ما أخطأ فيه، وقال باقي حديثه مستقيم[تقريب التهذيب (١/ ٥٦٤) ت ٧١٦٦]، يحيى بن سعيد العطار: ضعيف [تقريب التهذيب(١/٥٩١) ت٧٥٥٨]، الوليد بن عياش: لم أجد من ترجم له، وبالتالي لا يعرف حاله.

(١٨٩)العراق في أحاديث وآثار الفتن، المؤلف: أبو عبيدة مشهور بن حسن بن محمود آل سلمان، ص ١٦٣، ١٦٤.

(١٩٠)الآداب الشرعية (٣/٢٩٥).



أقول: وحمل جهة المشرق الواردة في الحديث على العموم أولى – كما ذكرت من أنه يشمل المشرق الأدنى والأقصى– ؛ لأن هذا يسدّ باب الاستدلال بالحديث على ذمٍّ بلدة بعينها وما يتبع ذلك من ذمّ علمائها وفضلائها، فالتحديد في بلدة بعينها كالعراق أو نجد اليمامة، يجعل كل بلدة تشغل بنفي أن تكون هي المرادة بالحديث بدلاً من أن تشغل بفهم مضمونه ومغزاه، والله أعلم.

❁❁❁

نتائج البحث

من خلال معايشتي لهذا البحث مدّة قاربت سنة، فقد توصلت بعون الله وتوفيقه وفتحه إلى عدة نتائج وهي:

- تحقق ما أخبر به النبي ﷺ وهذا يُعدّ من أعلام وأمارات نبوته ﷺ.
- أن النبي ﷺ نسب الإيمان للمدينة وهي المدينة المنورة فقال: " إن الإيمان ليأرز إلى المدينة..." يعنى انضمام أهل الإيمان إليها، وارتباطهم بها، وزيارتهم لها، ولجوئهم إليها عند الفتن.
- يجوز أن يراد بالمدينة التي نسب إليها رسول الله ﷺ الإيمان المدينة المنورة وجوانبها ونواحيها، فتشمل المدينة ومكة، وهذا الرأي له ما يؤيده من الروايات وهي:«إِنَّ الدِّينَ لَيَأْرِزُ إِلَى الحِجَازِ كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا، وَلَيَعْقِلَنَّ الدِّينُ مِنَ الحِجَازِ مَعْقِلَ الأُرْوِيَّةِ مِنْ رَأْسِ الجَبَلِ... »، «... وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِكَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا» وقد فسر النووي المسجدين بمسجد مكة والمدينة.
- استخدام النبي ﷺ للوسائل التعليمية، والتي منها تقريب الصورة إلى الأذهان، حيث استخدم مثالاً من البيئة التي يعيش فيها المخاطبون وهو الحية، وشبه رجوع الإيمان وانضمام أهله، وفرارهم من الفتن وآفات المخالفين إلي المدينة برجوع الحية وفرارها وانضمامها إلى جحرها إذا راعها شيء، وذلك لتأمن فيه على نفسها.



- إرتباط قلوب المؤمنين بالمدينة وزيارتهم لها، ولجوئهم وإيوائهم إليها عند اشتداد الفتن حفاظاً على دينهم، شامل لجميع الأزمنة، حيث لم يرد ما يخصص ذلك بزمن معين.
- أن قول القرطبي فيما يستفاد من حديث " إن الإيمان ليأرز إلى المدينة..." : " فيه تنبيه على صحة مذهبهم، وسلامتهم من البدع، وأن عملهم حجة كما رواه مالك رحمه الله" مُقَيّد بزمن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين؛ لأن الأحوال قد تغيرت بعد ذلك.
- قلوب المسلمين في جميع أنحاء العالم تتهافت وتشتاق وتحنّ لزيارة المدينة المنورة؛ رغبة في زيارة ساكنها عليه أفضل الصلاة والسلام، وتحصيل الدرجات، وذلك من خلال: الصلاة في المسجد النبوي، والجلوس في الروضة الشريفة، والصلاة فيها والدعاء.
- لا يوجد تعارض بين نسبة النبي ﷺالإيمان إلى اليمن ونسبته أيضاً إلى المدينة؛ لأن نسبة الإيمان إلى اليمن المراد به أهلها، وهو من باب الإشعار والإعلام بكمال إيمانهم من غير أن يكون فيه نفي له عن غيرهم، ثم المقصود بذلك أهل اليمن الموجودون في ذلك الزمن، وليس أهل اليمن في كل زمان؛ لأن النبي ﷺ- كما ورد في الحديث- حينما نسب الإيمان لأهل اليمن، نسبه إلى من قدموا عليه فقال: " أتاكم أهل اليمن.....". أما نسبة النبي ﷺ الإيمان إلى المدينة فجاءت بصيغة المضارع التي تقتضي دوام التجدد والحدوث، فهذه النسبة ثابتة للمدينة إلى أن تقوم الساعة.

- أن النبي ﷺ نسب الإيمان والحكمة والفقه لليمن، والمراد بهذه النسبة اليمن وأهلها على الحقيقة.
- أن أهل اليمن استحقوا هذه النسبة للمؤهلات والخصائص التي اتصفوا بها وهي:

١- رقة أفئدتهم.

٢- لين قلوبهم.

٣- اتصافهم بالسكينة والتواضع والرقة،لأنهم أهل غنم.

وهذه المؤهلات جعلتهم يذعنون إلى الإسلام، ويدخلون فيه، ويفدون على رسول الله ﷺومنهم من لزمه كأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- أن نسبة الإيمان لأهل اليمن إشعار بكمال إيمانهم من غير أن يكون في ذلك نفي له عن غيرهم، وهكذا كان حال أهل اليمن حينئذ في الإيمان وحال الوافدين منه في حياته ﷺوأعقاب موته كأُويس القَرْني.
- المراد بأهل اليمن الموجود منهم حينئذ (أي في زمن النبيﷺ) لا كل أهل اليمن في كل زمان، فإن اللفظ لا يقتضيه.
- أن النبي ﷺنسب الكفر والفتن إلى البلاد التي تقع في جهة المشرق، وقد وقع ما أخبر به عليه الصلاة والسلام.
- خروج الفتن من جهة المشرق؛ لأن أعظم أسباب الكفر منشؤه هنالك ككفر المجوس، فمملكة الفرس ومن أطاعهم من العرب كانت تقع في جهة المشرق بالنسبة للمدينة المنورة. ورواية: «وَالفِتْنَةُ هَاهُنَا، هَاهُنَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ»تبينأن عبدة الشمس





يسجدون للشيطان بسجودهم للشمس في ذلك الوقت، وهو وقت طلوع الشمس، لأنه ينتصب في محاذاة مطلع الشمس، حتى إذا طلعت كانت بين قرني رأسه أي جانبيه، فتقع السجدة له حين يسجد عبَدَةُ الشمس.

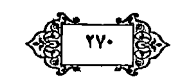
- أن الفتن منها ما وقع كالجمل وصفين والنهروان وقتل الحسين، ومنها ما لم يقع كخروج الدجال.
- أن الفتن في كل ناحية من نواحي الإسلام، لكنها بالمشرق أكثر أبداً.
- هناك صفات جعلت أهل المشرق يستحقون نسبة الكفر والفتن إليهم، وهذه الصفات عكس الصفات التي اتصف بها أهل اليمن، وهي:

١- الفخر والخيلاء.

٢- القسوة وغلظ القلوب.

كل ذلك بسبب أنهم أهل خيل وإبل وبقر، والمالكون لهذه الحيوانات يتصفون في الغالب بالصفات السابقة.

- بناءً على القول بأن نجداً هي نجدُ العراق، وأن جهة المشرق هي العراق فليس معنى ذلك ذمّ العراق، أو أن جهة المشرق كلها شر، أو أنه لم يخرج منها أولياء أو علماء للتصدي لهذه الفتن، فقد خرج منها الإمام أحمد، وعاش بها الشافعي ولُقِّب بناصر السنة،فكأن الله أراد انتشار الكفر والفتن في هذه الجهة، وفي نفس الوقت يقيض علماء للتصدي لهذه الفتن ومواجهتها، ويكونون في ابتلاء وجهاد مع دعاتها ورؤوسها.

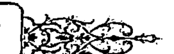


- من الخطإ الجسيم حصرانتشار الفتن بالعراق بحدوده الجغرافية اليوم، ونسيان مسمى (العراق) وحدوده آنذاك.
- **الراجح في تحديد جهة المشرق أن المشرق يشمل:**

١-**المشرق الأدنى:** وهو نجد اليمامة وما حولها، فقد ظهرت فيه فتن كمسيلمة الكذاب وأتباعه، وسجاح وأتباعها، ولا شك أنه من هؤلاء ظهرت الردة وغيرها من الكفر.

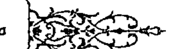
٢- **المشرق الأقصى:** وهو العراق وخراسان وما وراءهما، فقد نشأت فيها فرق الجهمية والمعتزلة والخوارج وغيرها، ووقعت فيها فتن كوقعة الجمل وصفين والنهروان وقتل الحسين، وهناك فتن لم تقع، وأخبر النبي ﷺ أنها ستقع في هذه الجهة كخروج الدجال.

- النبي ﷺ لا يريد من إخباره أن يذم بلدة أو جهة بعينها، وإنما أخبر عما يقع في جهة المشرق من الكفر والفتن، حتى يحذر المقيمون في هذه الجهة من الوقوع في الفتن، ويحرصون على عدم مخالطة أهلها أو التأثر بهم، والذي يعنينا من ذلك هو تحقق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام، وهذا من معجزاته وأعلام نبوته ﷺ.
- الأرض لا تطهر ولا تقدسأحداً،ولا تؤثر في الإضلال والشقاوة، فقد سكن الحرمين والأرض المقدّسة من هو أضلّ خلق الله وأكفرهم،وأشدّهم عداوة لله،بل سكن الأرض المقدسة من قتل الأنبياء وعَبَد العجل.



- من عاب الساكن بالسكنى والإقامة في البلاد التي فيجهة المشرق، فقد عاب جمهور الأمة، وسبّهم، وآذاهم بغير ما اكتسبوا.
- المدح والذم الشرعيين يتوجهان إلى الإيمان والكفر، لا إلى سكنى الأرض أو الانتساب إلى قوم.
- لو فتحنا باب الحكم على العلماء بمجرد الانتساب إلى أماكنهم وبلدانهم لما وجدنا عالماً يسلم من ذلك إلا من رحم الله، وقد قال رجل من مصر لرجل من أهل نجد: مسيلمة الكذاب من خير نجدكم، فقال له رجل من أهل نجد مجيباً عليه: وفرعون اللعين رئيس مصركم فبُهِت الرجل.

تم بحمد الله تعالى وصلّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



فهرس بأهم المصادر والمراجع

-القرآن الكريم:

كتب التفسير وعلوم القرآن:

تفسيرالقرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط- ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

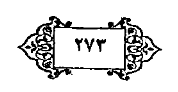
حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع،المؤلف: الإمام القاسم بن فيرة بن خلف الشاطبي(ت٥٩٠هـ)،ط: مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م.

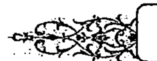
كتب متون وشروح الحديث:

إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني المصري (ت ٩٢٣هـ) الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط- ٧، ١٣٢٣ هـ.

الاستذكار، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض

أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، تأليف: أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي(٣١٩- ٣٨٨هـ) تحقيق: د. محمد بن سعد بن عبد





الرحمن آل سعود، ط- ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، حقوق الطبع محفوظة لجامعة أم القرى.

بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، المؤلف: أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (ت ٣٨٠هـ)،المحقق: محمد حسن محمد - أحمد فريد المزيدي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط- ١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م

تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري(ت ١٣٥٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن محمد بن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي،محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٣٨٧ هـ.

الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: جلال الدين السيوطي(ت ٩١١هـ) حقق أصله، وعلق عليه: أبو إسحاق الحويني، الناشر: دار ابن عفان/ السعودية، ط- ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦ م.

سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد(ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد



محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط- ٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، المؤلف: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ط- ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

شرح السنة ، المؤلف: الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – محمد زهير الشاويش،الناشر: المكتب الإسلامي، دمشق – بيروت ، ط- ٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

شرح صحيح البخاري، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الناشر: مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط- ٢، سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، المؤلف: عياض ابن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت ٥٤٤هـ)، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

عِمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى الحنفي بدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢هـ قرأ بعض أصوله تعليقاً: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي،تحقيق: محب الدين الخطيب، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩م.

فيض الباري على صحيح البخاري، المؤلف: (أمالي) محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي (ت ١٣٥٣هـ) المحقق: محمد بدر عالم الميرتهي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط- ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط- ١، ١٣٥٦هـ.

كتاب الميسر في شرح مصابيح السنة، تصنيف: الإمام أبي عبد الله فضل الله بن الصدر الإمام السعيد تاج الملة والدين الحسن التوربشي (ت ٦٦١هـ) ، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز: مكة، الرياض، القاهرة، ط- ٢، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام الرحماني المباركفوري (ت ١٤١٤هـ) الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية بنارس الهند، ط- ٣، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ) الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، ط– ١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم النيسابوري المعروف بابن البيع (ت٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠م.

المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري المعروف بابن البيع (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط– ١، ١٤١١هـ– ١٩٩٠م.

مسند أبي يعلى، المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى الموصلي (ت٣٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق، ط– ١، ١٤٠٤ه – ١٩٨٤م.

مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ابن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث – القاهرة، ط– ١،١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م، عدد الأجزاء: ٨ (القسم الذي حققه أحمد شاكر).

مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (ت ٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى

٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم/ المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

المصنف في الأحاديث والآثار، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، ط- ١، ١٤٠٩

المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني(ت ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط- ٢.

منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، المؤلف: حمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق – سوريا، مكتبة المؤيد، الطائف/ ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.

المنتقى شرح الموطإ، المؤلف: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (ت ٤٧٤هـ)، الناشر: مطبعة السعادة، الطبعة: الأولى، ١٣٣٢ هـ.

المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط- ٢، ١٣٩٢ هـ.

موطأ الإمام مالك، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت ١٧٩هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٥م.

كتب التراجم والطبقات والأنساب:

إرشاد القاصي والداني إلى تراجم شيوخ الطبراني، المؤلف: أبو الطيب نايف بن صلاح بن علي المنصوري، قدم له: د سعد بن عبد الله الحميد، راجعه ولخص أحكامه وقدم له: أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني المأربي، الناشر: دار الكيان – الرياض، مكتبة ابن تيمية – الإمارات.

أسْد الغابة في معرفة الصحابة، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير(ت ٦٣٠هـ)، المحقق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، ط- ١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م.

الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط- ١، – ١٤١٥ هـ.

الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م.



الأنساب، المؤلف: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (ت ٥٦٢هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢م.

تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس(المعروف بطبقات المدلسين)، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، المحقق: د. عاصم بن عبدالله القريوتي، الناشر: مكتبة المنار - عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

تقريب التهذيب، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد - سوريا، ط - ١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

تهذيب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند ، ط- ١، ١٣٢٦هـ.

تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المؤلف: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (ت: ٧٤٢هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط- ١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

الثقات، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت ٣٥٤هـ)الناشر: دائرة

المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ ه = ١٩٧٣، عدد الأجزاء: ٩

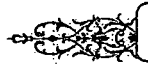
الجرح والتعديل، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م.

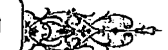
سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط- ٣ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط- ٢، ١٤١٣هـ.

طبقات الشافعية، المؤلف: ابن قاضي شهبة (ت ٨٥١هـ)، المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان، دار النشر: عالم الكتب - بيروت، ط- ١، ١٤٠٧ هـ.

الفوائد البهية في تراجم الحنفية، تأليف العلامة أبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، مع التعليقات السنيىة على الفوائد البهية للمؤلف





المذكور، طبع بمطبعة السعادة بمصر على نفقة أحمد ناجي الجمالي، ومحمد أمين الخانجي الكتبي وأخيه، ط- ١، ١٣٢٤ه.

الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، المحقق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

الكامل في ضعفاء الرجال، المؤلف: أبو أحمد بن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، الناشر: الكتب العلمية: بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م

معجم المؤلفين، المؤلف: عمر بن رضا كحالة الدمشقي (ت ١٤٠٨هـ)، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي.

ميزان الاعتدال في نقد الرجال، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط- ١، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م.

نسب قريش، المؤلف: مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، أبو عبد الله الزبيري (ت ٢٣٦هـ)، المحقق: ليفي بروفنسال، أستاذ اللغة والحضارة بالسوربون، ومدير معهد الدروس

الإسلامية بجامعة باريس – سابقاً، الناشر: دار المعارف، القاهرة، ط-٣.

كتب التخريج والزوائد:

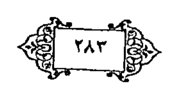
إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري الكناني الشافعي (ت٨٤٠هـ)، تقديم: فضيلة الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، المحقق: دار المشكاة للبحث العلمي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، ط- ١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

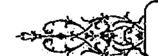
تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي، للألباني(ت ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف، ط- ١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ وَمَنْبَعُ الفَوَائِدِ، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، حَقَّقَهُ وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ: حسين سليم أسد الدّاراني، الناشر: دَارُ المَأْمُون لِلتُّرَاثِ.

مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (ت ٨٤٠هـ)، المحقق: محمد المنتقى الكشناوي، الناشر: دار العربية – بيروت، ط- ٢ ، ١٤٠٣ هـ.

موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان،المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر ابن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)المحقق: حسين سليم أسد





الدّاراني - عبده علي الكوشك، الناشر: دار الثقافة العربية، دمشق، ط-١، (١٤١١ - ١٤١٢ هـ) = (١٩٩٠ م -١٩٩٢ م).

كتب مختلف الحديث:

تأويل مختلف الحديث، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي- مؤسسة الإشراق، ط- ٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

مشكل الآثار، تأليف: أبي جعفر الطحاوي أحمد بن محمد المصري الحنفي (ت٣٢١هـ)، ضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط- ١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

كتب الفقه والأصول والفتاوى:

الإحكام في أصول الأحكام، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت.

فتاوى شرعية معاصرة، تأليف: أ. د محمد إبراهيم الحفناوي، ط: دار الحديث/ القاهرة، ١٤٣٠ه - ٢٠٠٩م.

مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

كتب العقيدة والفِرَق والردود:

الاقتصاد في الاعتقاد، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط– ١، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.

الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، المؤلف: أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (ت ٥٥٨هـ)، المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط– ١، ١٤١٩هـ–١٩٩٩م.

بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، المؤلف: تقي الدين ابن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط– ١، ١٤٢٦هـ.

تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والاعتقاد، تأليف: الإمام محمد أبو زهرة، الناشر: دار الفكر العربي/ القاهرة، ١٩٩٦م.

الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شيخ الإسلام، (ت٩٧٤هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي – كامل محمد الخراط، الناشر: مؤسسة الرسالة – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ.

عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم (أصل الكتاب رسالة دكتوراه)، المؤلف: ناصر بن علي عائض حسن الشيخ،

الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط- ٣، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ)، المحقق: محب الدين الخطيب - ومحمود مهدي الاستانبولي، الناشر: دار الجيل بيروت - لبنان، ط- ٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ١

الفَرق بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية، المؤلف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الإسفراييني، أبو منصور(ت ٤٢٩هـ)، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط- ٢، ١٩٧٧م.

مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام، المؤلف: عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ (ت ١٢٩٣هـ)المحقق: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط- ١، ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ م.

وسطية أهل السنة بين الفرق (رسالة دكتوراه)، المؤلف: محمد با كريم محمدبا عبد الله، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، ط- ١، ١٤١٥ هـ ـ١٩٩٤م.



كتب التاريخ والسيرة:

- البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط- ١٤٠٨،١ هـ - ١٩٨٨م .

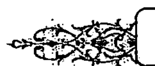
خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، المؤلف: علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي (٩١١هـ)، دراسة وتحقيق: د/ محمد الأمين محمد محمود أحمد الجكيني، طبع على نفقة السيد: حبيب محمود أحمد، وجعله وقفا لله تعالى، عدد الأجزاء: ٢.

سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، المؤلف: محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط- ١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ١٢.

شرح العلامة الزرقاني المتوفى سنة ١١٢٣ه على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني المتوفى سنة ٩٢٣ه، ضبطه وصححه: محمد بن عبد العزيز الخالدي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط - ١، ١٤١٧ه- ١٩٩٦م.

كتب البلدان:

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، للمقدسي، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه: د. محمد مخزوم، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.



المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، المؤلف: محمد بن محمد حسن شُرَّاب، الناشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق- بيروت، ط- ١، ١٤١١ هـ.

معجم البلدان، المؤلف: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي(ت ٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، ط- ٢، ١٩٩٥ م.

معجم الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ، المؤلف: المقدم/ عاتق بن غيث البلادي الحربي (ت ١٤٣١هـ) الناشر: دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط- ١، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، المؤلف: أبو عبيد عبد الله بنعبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ)، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ط- ٣، ١٤٠٣ هـ.

كتب اللغة والغريب والمعاجم:

تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي(ت١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، المؤلف: محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَميدي أبو عبد الله بن أبي نصر (ت ٤٨٨هـ)، المحقق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، الناشر: مكتبة السنة - القاهرة - مصر، ط- ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

غريب الحديث، المؤلف: القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ط- ١، ١٣٩٦هـ.

غريب الحديث، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧)، المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط- ١، ١٤٠٥ - ١٩٨٥، **عدد الأجزاء**: ٢.

الفائق في غريب الحديث، المؤلف : محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة - لبنان ، ط- ٢.

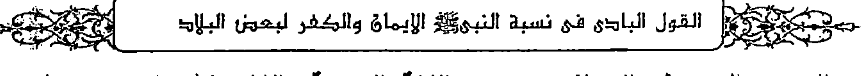
فرهنكَ فارسي: دكتور محمد معين، ط -١٢، ط: طهران عام ١٣٧٧هـ. ش.

مختار الصحاح، تأليف: الشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، الناشر: دار الحديث/ القاهرة، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المؤلف: القاضي أبو الفضل عياضبن موسى ابن عياض اليحصبي المالكي، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث.

المصباح المنير: تأليف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، الناشر: دار الحديث بالقاهرة، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

المعجم الذهبي/ فارسي/ عربي/ تأليف الدكتور: محمد التونجي، فرهَنك طلائي، ط: دار العلم للملايين - بيروت - ط -١، ١٩٦٩م.



المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير(٥٤٤- ٦٠٦هـ) ، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا، الناشر: دار المعرفة: بيروت- لبنان، ط- ١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

كتب الرقاق والآداب والأذكار:

الآداب الشرعية والمنح المرعية، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ)، الناشر: عالم الكتب، عدد الأجزاء: ٣.

كتب عامة:

أكمل البيان في شرح حديث نجد قرن الشيطان، المؤلف: حكيم محمد أشرف سِندهُو، حققه وخرج أصوله: عبدالقادر بن حبيب الله السندي، الناشر: حديث أكاديمي: نشاط آباد، فيصل آباد، باكستان، ط- ١، شوال ١٤٠٢هـ - يوليو ١٩٨٢م.

حياة الحيوان الكبرى، المؤلف: محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي (ت ٨٠٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط- ٢، ١٤٢٤ هـ، عدد الأجزاء: ٢

الحيوان، المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ، عدد الأجزاء: ٧.

العراق في أحاديث وآثار الفتن، المؤلف: أبو عبيدة مشهور بن حسن بن محمود آل سلمان، الناشر: مكتبة الفرقان، الإمارات - دبي، ط- ١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

فضائل المدينة وآداب الزيارة، تأليف: أ.د. سليمان بن صالح الغصن، الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فهرسة مكتبة الملك فهد، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط- ٩، ١٤٣٤هـ.

في رحاب السنة الكتب الصحاح الستة ، لفضيلة الشيخ الدكتور/ محمد أبوشهبة، سلسلة البحوث الإسلامية لمجمع البحوث الإسلامية بجمهورية مصر العربية/ السنة السادسة والعشرون- الكتاب الثالث ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

مفاهيم يجب أن تصحح، تأليف: الدكتور محمد علوي المالكي المكي الحسني، الناشر: الزهراء للإعلام العربي - مدينة نصر - القاهرة، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.



فهرس الموضوعات

